

إغاثة الأمة بكشف الغمة



التوحيد

أكتوبر ٢٠٢٦

جمادى الأولى ١٤٤٨ هـ

بيان حكم الإكراه على الخلع
ومقدار عوض الخلع



الفكر الشيعي

في ميزان الشريعة

Upload by : altawhedmag.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



جَمْعِيَّةُ أَنْصَارِ السَّنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

والمشرف العام فضيلة الشيخ

أحمد يوسف عبد المجيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً. للتواصل: واتساب: ١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودي بالجنيه المصري.

السلام عليكم

نفحات جمادى الأولى: محطة لتجديد العهد والأمل

مع إهلال هلال شهر جمادى الأولى، يطرق الزمان أبوابنا ليعلم منتصف الرحلة في العام الهجري. إنه ليس مجرد رقم يتغير في التقويم، بل هو وقفة يمنحنا الله إياها لنستعيد توازننا وسط زحام الحياة، ونستشعر انسياب الأيام وسرعتها.

يرتبط اسم «جمادى» في أصله اللغوي بجمود الماء لشدة الشتاء حين سُمي، لكنه في الواقع الايماني يحمل رمزية عميقة: فهو يذكرنا بأهمية أن تظل قلوبنا حية نابضة بالخير، وألا تتجمد مشاعرنا أو يفتر عزمنا أمام صعاب الحياة ومشاغلتها اليومية.

يجسد دخول هذا الشهر فرصة ثمينة لتحقيق عدة مقاصد، ومنها:

تجديد الشغف والنية، وإعادة ترتيب الأولويات، والبدء من جديد فيما تعثرنا فيه خلال الشهور الماضية، سواء على المستوى الشخصي أو في علاقتنا مع الله.

إصلاح القلوب والعلاقات، وتفقد الأرحام، وجبر الخواطر، ومد يد العون لمن حولنا، فشهد جديد هو دائماً بداية جديدة للتسامح والقرب.

طابت أيامكم بكل خير وعافية.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلداً

من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة



رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية
١٢ ريالاً ، الإمارات ١٢ درهماً
، الكويت ١ دينار ، المغرب
دولاران أمريكيان ، الأردن ١
دينار ، قطر ١٢ ريالاً ، عمان
أريال عماني ، أمريكا ٤
دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين . القاهرة

ت ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

فهرس المحتل

- الفكر الشيعي في ميزان الشريعة
٢ الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد
٥ باب التفسير د. عبد العظيم بدوي
٨ مدخل إلى العقيدة د. عبد الله شاكرو
أسئلة القراء عن الأحاديث
١١ الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف (رحمه الله)
إغاثة الأمة بكشف الفمّة
١٤ د. أيمن خليل
٢٠ إن الدين يسر د. جمال المراكبي
٢٤ باب التراجم أ / ربيع محمود
٢٦ بيان جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر
٢٨ واحة التوحيد د. علاء خضر
الحياء خلق جميل وفي النساء أجمل!
٣٠ أ. د محمد حامد
فضائل تضريح كربات الناس
٣٤ الشيخ / صلاح نجيب الدق
رعاية المسنين من منظور إسلامي
٣٧ د. محمد محمود العطار
٣٩ الخطبة ضوابط ومحاذير د. أحمد زكي
الدرر الحسان في وصايا الصحابة
٤٢ أ. د. محمد عبد العليم الدسوقي
يؤتي الحكمة من يشاء
٤٧ الشيخ / إبراهيم حافظ رزق
٥٠ الخلع ضوابط وأحكام د. محمد عبد العزيز
الكلليات في المباح والمنوع من المطاعم
٥٥ د / أحمد بن سليمان أيوب
شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان
٦٠ الشيخ / مصطفى البصراي
العلماء ورثة الأنبياء
٦٢ الشيخ / عبده أحمد الأقرع

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و ٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

الفكر الشيعي في ميزان الشريعة

إصدار / فضيلة الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد

الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أكمل الدين وأتم النعمة ورضي
لنا الإسلام ديناً والصلاة والسلام على من أرسله
ربه رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛
فإن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله، وهذا الدين هو الإسلام (إن
الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا
الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب)
(آل عمران: ١٩)، ودين الإسلام هو دين أهل
الأرض والسماء أساسه الدعوة إلى توحيد الله
تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل: ٣٦)،
وقال سبحانه: (وما أرسلنا من قبلك من
رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)
(الأنبياء: ٢٥).



ومصدر التشريع الأول لهذا الدين هو القرآن الكريم: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (المائدة: ٤٨)، والقرآن محفوظ بحفظ الله له: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

(الحجر: ٩)، وصحيح

السنة هو المصدر الثاني

للتشريع، قال تعالى:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

(النحل: ٤٤)، وقد أخبر

الصادق المصدوق صلى

الله عليه وسلم بافتراق الأمم في دينها،

كما في سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي

الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم:

«افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين

وسبعين فرقة وافترقت النصارى على

أحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق

أمتي على ثلاث وسبعين فرق».. جاء في عون

المعبود أن الخلاف المذموم ليس خلافاً في

فروع الفقه وأبوابه والحلال والحرام وإنما

قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول

التوحيد وفي تقدير الخير والشر، وفي

شروط النبوة والرسالة في موالاة الصحابة

وما جرى مجرى هذه الأبواب، وقد ظهر

هذا الخلاف بعد مقتل الخليفة الراشد

عثمان رضي الله عنه وظهر اسم الشيعة ويقصد به ادعاء أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة وتفضيله على عثمان رضي الله عنهما، إلى أن خرج من أهل اليمن رجل يقال له عبد الله بن سبأ وأتباعه وكان يهودياً ادعى أنه دخل الإسلام هو وأتباعه وتمادى هؤلاء في إطراء علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أن وصفوه بأنه الله. ومنذ ذلك التاريخ تغير الأمر فلم يصبح الأمر أمر الخلافة بل صار أمراً عقدياً اتخذ اتجاهات تخالف صريح الإسلام.

ومن مقاصد القرآن

الكريم بيان العقيدة

الصحيحية وما

يصادها والتحذير

من أهل الضلال:

(وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ

الْآيَاتِ وَلِتَسْتَتِينَ

سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ)

من مقاصد القرآن الكريم بيان
العقيدة الصحيحة وما يصادها
والتحذير من أهل الضلال

(الأنعام: ٥٥).

وقد أدرك أهل العلم خطر الفكر الشيعي

فحذروا الناس منه، وبيّنوا مخالفته لكثير

من قواعد الإسلام، بل قد يخالف الإسلام

كله وقد أدرك الشيعة ثقل مصر حفظها

الله في العالم الإسلامي ومكانتها فأرادوا

نشر مذهبهم بها، فكان إنشاء الجامع

الأزهر وسمي بذلك نسبة إلى فاطمة

الزهراء رضي الله عنها، ليكون مركزاً لنشر

المذهب الشيعي غير أن الله تعالى حفظ

مصر وأزهرها من الفكر الشيعي.

وأصبح الأزهر منارة علم تتصدى للفكر

الشيعي الذي حاول اختراقه مراراً بكل

الوسائل بدعوى التقريب بين السنة

والشيعة وبدعوى تدريس المذهب الشيعي وغير ذلك وقد ألف الأستاذ/ شحاته محمد صقر كتاباً بعنوان «جهود علماء الأزهر في بيان حقيقة دين الشيعة» راجعه وقدم له أ.د/ محمد بكر إسماعيل رحمه الله، ومما جاء في هذا الكتاب ما ذكره الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله: (لا يصح أن يدرس فقه الشيعة في الأزهر ألا ترون أن الشيعة يجيزون نكاح المتعة ونحن في الفقه نقرر بطلان نكاح المتعة). وقال الشيخ/ عطية صقر رحمه الله: (والشيعة يزعمون أن أبا بكر وعمر

بالذات رضي الله عنهما حذفاً من المصحف آيات كثيرة منها عدد كبير يتصل بخلافة علي رضي الله عنه ويزعمون أن المصحف الكامل كتبه علي رضي الله عنه بعد

انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى).

ومما ذكره الشيخ/ محمد عرفة عضو هيئة كبار العلماء رحمه الله عن الشيعة: (هذا المذهب يقول بردة الصحابة جميعاً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قليلاً منهم وأن أبا بكر وعمر كافران ملعونان).

وقال الدكتور/ مصطفى الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية في عقيدة الشيعة المعاصرة: (غلا آية الله الخميني في تقديس الأئمة غلواً شديداً طبقاً لما قرره في كتابه «الحكومة الإسلامية» فقد فضلهم على جميع الملائكة وجميع الأنبياء

والمرسلين بغير استثناء أو تحفظ. غير أن الذي ذكره آية الله الخميني لا يعبر عن عقيدة خاصة به وإنما هو يردد ما يعتقده كثير من صفوة علماء الشيعة وعلى رأسهم الكليني في كتابه «الكافي» الذي يحتل عند الشيعة مكانة شبيهة بمكانة صحيح البخاري عند أهل السنة).

أقول.. هذه بعض عقائد الشيعة فضلاً عن تقديسهم للموتى من أصحاب القبور وشد الرحال إليهم والاستغاثة بهم وصرف أنواع العبادة لهم كالطواف والدعاء

والنذر والذبح وقد فضح الله صنيعهم فصارت وسائل الإعلام تنقل ما يجري عند عتباتهم المقدسة (على حد زعمهم) من دعاء وبكاء وتمسح وهذا دين

عندهم، جاء في (بحار الأنوار) الأمر بكل هذا: (ثم أنكب على الضريح وقبل التربة وقل السلام عليكم يا أول مظلوم...).

والشيعة هم الذين اعتدوا على بيت الله الحرام في زماننا الحاضر وروعوا الأمنين وجلب الإيرانيون المتفجرات إلى الحرم المكي الشريف، وسيروا المظاهرات التي تهتف باسم الخميني، وقتلوا أهل السنة في بقاع كثيرة من أرض الله، وأخر فضائضهم توجيه المسيرات إلى مكة والمدينة من خلال الحوثيين باليمن.

فألهم اجمع كلمة أهل السنة وألف بين قلوبهم واحفظ بلاد المسلمين من كل مكروه وسوء.

الشيعة هم الذين اعتدوا على بيت
الله الحرام في زماننا الحاضر وروعوا
الأمنين وجلب الإيرانيون المتفجرات
إلى الحرم المكي الشريف

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرٍ إِنَّمَا هِيَ دُعَاؤُكُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تَبَدُّوا شَيْنًا أَوْ تَحَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نَسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا» (الأحزاب: ٥٣-٥٥).

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَارْشَدَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَنْ السُّكُوتُ النَّاشِئُ عَنْ سَبَبٍ هُوَ سُكُوتٌ لَا دَلَالَةَ لَهُ عَلَى الرِّضَا، وَإِنَّهُ إِنَّمَا سَكَتَ حَيَاءً مِنْ مَبَاشَرَتِهِمْ بِالْإِحْرَاجِ، فَهُوَ اسْتِحْيَاءٌ خَاصٌّ مِنْ عَمَلٍ خَاصٍّ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مُؤْذِيًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ فِيهِ مَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّصَرُّغِ لَشُؤُونِ النُّبُوَّةِ، مِنْ تَلْقَى الْوَجْهِ أَوْ الْعِبَادَةِ، أَوْ تَدْبِيرِ أَمْرِ الْأُمَّةِ، أَوْ التَّأَخُّرِ عَنِ الْجُلُوسِ فِي مَجْلِسِهِ لِنَفْعِ

د. عبد العظيم بدوي

وسلم مُقَرَّرٌ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّهُ عَمَلٌ مَذْمُومٌ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعَزَّ خَلْقٍ فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي التَّحَرُّزَ مِمَّا يُؤْذِيهِ أَدْنَى أَدَى. وَمِنَاطُ دَفْعِ الْاِغْتِرَارِ قَوْلُهُ: «فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ»، فَإِنَّ السُّكُوتَ قَدْ يَظُنُّهُ النَّاسُ رِضًا وَادْنًا، وَرَبِّمَا تَطَرَّقَ إِلَى أَذْهَانِ بَعْضِهِمْ أَنْ جُلُوسَهُمْ لَوْ كَانَ مَحْظُورًا لَمَا سَكَتَ عَلَيْهِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

من مكارم أخلاق

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجُمْلَةُ: «إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ» اسْتِثْنَاءٌ ابْتِدَائيٌّ لِلتَّحْذِيرِ وَرَفَعَ الْاِغْتِرَارَ بِسُكُوتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحْسِبُوهُ رِضَى بِمَا فَعَلُوا. فَمِنَاطُ التَّحْذِيرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ»، فَإِنَّ أَدَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

المسلمين، ولشؤون ذاته وبيته وأهله.

والتفريع في قوله تعالى: «فيستحيي منكم» تفريع على مقدور ذلك عليه القصة، والتقدير: فيهم بإخراجكم فيستحيي منكم، إذ ليس الاستحياء مضرعا على الأيذاء، ولا هو من لوازمه.

إن الله لا يستحيي من الحق؛ وجملة «والله لا يستحيي من الحق» معطوفة على جملة «فيستحيي منكم»، والمعنى إن ذلك سوء أدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كان يستحيي منكم فلا يباشركم بالإنكار ترجيحاً منه للعضو عن حقه على المؤاخذه به، فإن الله لا يستحيي من الحق، لأن أسباب الحياء بين الخلق منتقية عن الخالق سبحانه.

«والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» (الأحزاب: ٤).

وقد أفاد قوله تعالى: «والله لا يستحيي من الحق» أن من واجبات دين الله على الأمة أن لا يستحيي أحد من الحق الإسلامي في إقامته، وفي معرفته إذا حل به ما يقتضي معرفته، وفي إبلاغه وهو تعليمه، وفي الأخذ به، إلا فيما يرجع إلى الحقوق الخاصة التي يرغب أصحابها في إسقاطها أو التسامح فيها، مما لا يغمص حقاً لغيره، لأن الناس مأمورون بالتخلق بصفات الله تعالى اللائقة بأمثالهم بقدر الإمكان. وهذا المعنى هو الذي فهمته أم سليم، وأقرها النبي صلى الله

عليه وسلم على فهمها: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم إذا رأت الماء). (صحيح البخاري: ١٣٠)؛ فهي لم تستح من السؤال عن الحق المتعلق بها، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يستح من إخبارها بذلك. (التحرير والتنوير (٢٢/٨٥-٨٩) باختصار وتصرف).

مظاهر النظر:

هذا ما أدب الله به المؤمنين في دخول بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أرشدهم إلى ما يجب عليهم من الأدب مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم عند الحاجة لسؤالهن عن أي شيء، فقال: «وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب» فحرم عليهم الاطلاع عليهن، والنظر إليهن، وعلل ذلك بقوله: «ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن» أي أكثر تطهراً من الخواطر الشيطانية التي تخطر للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، فإن الرؤية سبب التعلق والفتنة، وقد قيل: النظرة سهم مسموم من سهام إبليس.

لا تقدموا بين يدي الله ورسوله:

وإذا قال الله في الحجاب، وعزل النساء عن الرجال، ومنع الرجال من الدخول

على النساء: «ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن» فلا يقل أحد غير ما قال الله، ولا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجب، والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين، لا يقل أحد ذلك أظهر للقلوب، وأعف للضمان، وأعون على تصريف الغريزة المكتوبة، إلى آخر ما يقول نفر من خلق الله الضعاف المهازيل، الجهال المحجوبين، لا يقل أحد شيئاً من هذا، والله يقول: «وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن»، يقول هذا عن نساء النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرات، أمهات المؤمنين، وهن موضع الاحترام والتكريم، وهن محرمات على المسلمين، وقد بلغن منزلة في الدين والتقوى ليس فوقها منزلة، وفي بيوتهن تنلى آيات الله والحكمة، ويشهدن تنزل الوحي، والتطبيق العملي للإسلام في مضمره الكتاب والسنة، والصحابة جيل مثالي، سما إلى أعلى مستوى يمكن أن يبلغه جيل، وقد شهد الله ورسوله لهم بالفضل:

قال تعالى: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» (التوبة: ١٠٠). وقال صلى الله عليه وسلم: (خير الناس قرني، ثم الذين

يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) (صحيح البخاري: ٢٦٥). ومع ذلك فقد حدد الله تعالى علاقة هؤلاء الزوجات بأولئك الرجال الأفاضل على ما نطقَت به الآية الكريمة: «وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب..» (تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر: ص ٢٨). ولا يقولن أحد: إن هذا الحجاب خاص بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فإن تغليل الله تعالى للحجاب بكونه أظهر لقلوب الرجال والنساء من الزينة قرينة واضحة على إرادة تغميم الحكم. إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين إن غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا حاجة إلى أظهرية قلوبهن وقلوب الرجال من الزينة منهن، ولو فرضنا أن آية الحجاب خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فلا شك أنهن خير أسوة لنساء المسلمين في الآداب الكريمة المقتضية للطهارة التامة وعدم التدنس بأنجاس الزينة.

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

بما أمر الله به من الحجاب:

ثم إنه مع دلالة القرآن الكريم على احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب قد دلت على ذلك أيضاً الأحاديث النبوية: عن عتبة بن عامر الجهني- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله

أفرايت الحموم؟ قال: الحموم الموت) (صحيح البخاري: ٥٢٣٢).

فهذا الحديث الصحيح صرح فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالتحذير الشديد من الدخول على النساء، فهو دليل واضح على منع الدخول عليهن وسؤالهن متاعاً إلا من وراء حجاب، لأن من سألها متاعاً لا من وراء حجاب فقد دخل عليها، والنبي صلى الله عليه وسلم حذر من الدخول عليها، ولما سألته الأنصاري عن الحموم الذي هو قريب الزوج الذي ليس محرماً لزوجه، كأخيه وابن أخيه، وعمه وابن عمه، ونحو ذلك، قال له صلى الله عليه وسلم: (الحموم الموت)، فسمي صلى الله عليه وسلم دخول قريب الزوج على امرأته وهو غير محررم لها باسم الموت، ولا شك أن تلك العبارة هي أبلغ عبارات التحذير، لأن الموت هو أفظع حادث يأتي على الإنسان في الدنيا.

فتحذيره صلى الله عليه وسلم هذا التحذير البالغ من دخول الرجال على النساء، وتعبيره عن دخول القريب على زوجة قريبه باسم الموت دليل صحيح على أن قوله تعالى: «وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب» عام في جميع النساء، إذ لو كان حكمه خاصاً بأزواجه صلى الله عليه وسلم لما حذر الرجال هذا التحذير البالغ العام من الدخول على النساء،

وظاهر الحديث التحذير من الدخول عليهن ولو لم تحصل الخلوة بينهما، وهو كذلك، فالدخول عليهن، والخلوة بهن، كلاهما محرم تحريماً شديداً بانصراده (أضواء البيان ٥٨٤/٦-٥٩٣) باختصار).

إن الله يغار على حريمكم، ويغار على أغراضكم، فليت شعري، متى تنتهي عن هذا الاختلاط المستهتر الذي عم المجتمع، في البيوت، والمدارس، والأسواق، والمحلات، وليت شعري متى ينتهي الرجال عن طلب العاملات بشرط أن تكون العاملة أنسة، ومتى تنتبه للخطر الداهم الذي دنس الشرف، وانتهك الأعراض، وأدى إلى اختلاط الأنساب، أو القتل بالأجهاض، متى ترجع النساء إلى بيوتهن كما أمرن، «وقرن في بيوتكن»، ومتى تنتهي السهرات العائلية، التي يختلط فيها الرجال بالنساء، والشباب بالبنات، ومتى يعزل الأخوة في العائلات المختلطة، ومتى تمتنع النساء عن استقبال الرجال في البيوت في غيبة أزواجهن وحضورهم، ومتى يختفي من المحلات تواجد العاملات، الرجل والمرأة، أو صاحب العمل والبنات العاملة؟! يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون» (الأنفال: ٢٤). وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة

د. عبد الله شاكِر

خاصًا بأحد القسمين دون الآخر.
قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
جميع الدين أصوله وفروعه، باطنه
وظاهره، علمه وعمله، فإن هذا
الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان،
وكل من كان أعظم اعتصامًا بهذا
الأصل كان أولى بالحق علمًا وعملاً.
(ب) أدلة هذه القاعدة:
أي: أدلة «اشتغال الكتاب والسنة
على أصول الدين».

أولاً: القرآن الكريم؛

دَلَّ القرآن الكريم على هذه القاعدة
من وجوه، نذكر طرفًا منها:
أ- بيان شمول الدين واتساعه لكل ما
ينفع الناس إجمالاً وتفصيلاً. كما في
قوله تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من
شيء» (الأنعام: ٣٨)، وقوله تعالى:
«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل
شيء» (النحل: ٨٩).
ب - إن الله عز وجل وصف القرآن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة
والسلام على خاتم الأنبياء
 والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن
تبهم بإحسان، وبعد: ما يزال
الكلام موصولاً عن قواعد وضوابط
الاستدلال على مسائل الاعتقاد
عند أهل السنة والجماعة خاصةً
بعد أن تكلمنا عن خصائص منهج
أهل السنة والجماعة في تقرير
مسائل الاعتقاد، وسبق معنا ذكر
القاعدة الأولى.

القاعدة الثانية: اشتغال الكتاب
والسنة على أصول الدين
(أ) فقه القاعدة:

التقسيم الصحيح لمسائل الدين هو
أن نقسمه إلى: خبر وطلب؛ لأن هذا
هو الذي ينضبط، وكلا القسمين
تدخل فيه الضروع والأصول، وما
يكون دليلاً القطع أو الظن، وما يكفر
جاحده أو لا يكفر، وكذا يستدل
فيهما بالشرع وبالعقل، وليس العقل

الكريم بأنه الحق، وأن الهداية والنجاة معقودة على اتباعه والتزامه؛ تصديقاً وتحكيماً، قال تعالى: «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» (الأحزاب: ٤)، وقال تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ» (الإسراء: ٩)، وقال تعالى: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ» (المائدة: ١٥)، وقال تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ» (التوبة: ١٥).

فترك العباد من غير هداية وإرشاد يُنال في حكمة الله تعالى في محبته لذلك؛ لأن الله عز وجل يحب الهداية والإرشاد محبة دينية شرعية، وقد أنزل القرآن الكريم وهو يحب أن يلتزم الناس بأحكامه؛ فكيف لا يكون القرآن الكريم إذن مشتتاً على أصول الهداية؟!

ثانياً: السنة النبوية المطهرة:

هناك أكثر من دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أصول الدين، وعلى أن الكتاب والسنة اشتتملا على أصول الدين، نذكر منها:

أ- ما رواه ابن ماجه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي (عليه الصلاة والسلام) قال: «وَأَيُّمُ اللَّهُ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلِهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»؛ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «صدق والله رسول الله صلى الله عليه وسلم تركنا والله على مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلِهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ».

ب- ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»، عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً».

(ج) فوائد الالتزام بهذه القاعدة:

الفائدة الأولى: وجوب النظر إلى الشريعة بعين الكمال لا بعين النقصان، واعتبارها اعتباراً كلياً في العقائد والعبادات والمعاملات، وعدم الخروج عنها البتة؛ لأن الخروج عنها تيه وضلال. كيف وقد ثبت كمالها وتماها؛ فالزائد والمنقص في جهتها هو المبتدع بإطلاق، المنحرف عن جادة الصواب، وهذا هو الذي أغضله المبتدعون، فدخل عليهم بسببه الاستدراك على الشرع.

الفائدة الثانية: وجوب النظر في نصوص

الكتاب والسنة وكلام السلف لمعرفة مسائل الاعتقاد، وأدلتها السمعية والعقلية، ومباشرة ذلك بالإيمان والتصديق والاستجابة، والبعد عن استحداث الأمور المبتدعة وتكلف الأدلة العقلية والذوقية لها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكل من كان أعظم اعتصاماً بهذا الأصل، كان أولى بالحق علماً وعملاً.

الفائدة الثالثة: الاستغناء بالكتاب والسنة عن النظر في الكتب المتقدمة، كالتوراة والزبور، لما أصابها من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان؛ فالقرآن الكريم كتاب مستقل بنفسه، ناسخ لما قبله، لم يحوج الله تعالى أهله إلى كتاب آخر، كما هو حال أهل الزبور والإنجيل والتوراة، والقرآن اشتمل على جميع ما في الكتب الأخرى من المحاسن، وعلى زيادات كثيرة لا توجد فيها، مع ضمان الحفظ، ونزاهة النص عن التحريف؛ ولهذا كان مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، يقرر ما فيه من الحق، ويبطل ما حُرف منه، وينسخ ما نسخ الله تعالى.

القاعدة الثالثة: رد التنازع إلى الكتاب والسنة (أ) فقه القاعدة:

لقد وقع الاختلاف والتنازع في الدين بين هذه الأمة، وقَعَ أسوة بالأمم قبلها من اليهود والنصارى في أصول الدين وفروعه، وذلك على ما أخبر به الوحي، كما في قوله تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ» (هود: ١١٨، ١١٩)، وقال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (آل عمران: ١٠٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»، وفي رواية: «كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».

والاختلاف المذكور في القرآن الكريم قسمان: القسم الأول: من جهة مدحه أو ذمه.

القسم الثاني: من جهة ذاته.

القسم الأول: الاختلاف من جهة مدحه أو ذمه؛ ينقسم إلى نوعين:

الأول: أنه تعالى يذم الطائفتين المختلفتين جميعاً، كما في قوله تعالى: «ذَلِكَ بَأْسَ اللَّهِ تَنَزَّلُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» (البقرة: ١٧٦). وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» (الأنعام: ١٥٩).

الثاني: اختلاف حمد الله تعالى فيه إحدى الطائفتين وذم الأخرى، كما في قوله تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مِنْ كَلِمِ اللَّهِ وَرَفَعُ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» (البقرة: ٢٥٣). فقوله سبحانه: «لَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» (البقرة: ٢٥٣): حمد لإحدى الطائفتين وهم المؤمنون، وذم للأخرى، والاختلاف الذي تذم فيه جميع الطوائف المتنازعة يكون سببه تارة فساد النية بسبب البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض بالفساد ونحوه، كما قال تعالى: «وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ» (البقرة: ٢١٣). وتارة يكون بسبب جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعون فيه، أو الجهل بدليله أو دلالته.

القسم الثاني: الاختلاف من جهة ذاته: ينقسم إلى نوعين:

الأول: اختلاف تنوع، وهو على وجود:

أ- أن يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، كالاختلاف في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، فزجرهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف. وقال: «كَلَّا كَمَا مَحْسَنٌ»، ومن ذلك أيضاً الاختلاف في صفة الأذان والإقامة والتشهدات وصلاة الخوف، إلى غير ذلك مما شرع جميعه، وقد يقال: إن بعض أنواعه أفضل من بعض.

ب- أن يتفق القولان في المعنى والحكم، ويختلفان في اللفظ والعبارة، كالاختلاف في الحدود-أي: التعريفات- والتعبير عن

المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك. ج- أن يكون المعنيان مختلفين لكنهما لا يتنافيان؛ فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح، كاختلاف الصحابة في صلاة العصر أثناء سيرهم إلى بني قريظة.

الثاني: اختلاف تضاد، وهو القولان المتنافيان؛ فالخطب فيه أشد، لتناهي القولين، وقد يكون مع أحد المتنازعين بعض الحق، أو دليل يقتضي حقه؛ فرد ذلك من الباطل، كالاختلاف بين المشبهة والمعطلة في الصفات، فمع المشبهة بعض الحق وهو أصل الإثبات، ومع المعطلة بعض الحق وهو أصل التنزيه، والصواب والنجاة في ضم الحقيقتين والجمع بينهما. وهذان النوعان-أي: اختلاف التنوع والتضاد- إنما يكون المخرج منهما بالرد إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبذلك يظهر لنا وللمختلفين ما خفي من الدليل أو الدلالة، ويرتفع التنازع، ويندفع البغي، ويتبين وجه الحق والصواب؛ ثم يطالب المبطل بالاذعان والانقياد.

ب- أدلة هذه القاعدة:

وهي قاعدة: رد التنازع إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم وأدلة هذه القاعدة أيضاً من القرآن والسنة وإجماع الأمة، وأقوال السلف والعلماء، والنظر الصحيح؛ أولاً: القرآن الكريم:

وذلك من وجود كثيرة، أذكر منها: أمر الله تعالى المتنازعين أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (النساء: ٥٩). وقد فسر مجاهد وغير واحد من السلف الرد إلى الله بالرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالرد إليه حال حياته، وإلى سنته بعد مماته، وقد حكى ابن القيم الإجماع في ذلك.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

أسئلة القراء عن الأحاديث

أجاب عنها الشيخ محمد عمرو عبد الطيف (رحمه الله)
(محدشوال ١٤١٥هـ)

(٥٧): (وقد سمعت أن عمر لما جاءه منكر ونكير، جذب بذؤابة هذا وذؤابة هذا وقال: من ريكما؟ ولولا انقباض يده عن الهوى ما انبسطت إلى منكر ونكير)
قال محققه في الحاشية: (هذا مما وضعه (في الأصل- خطأ- وضحه) الموهولون، وهو لا يعقل).

وصدق- والله- ونصح. نعم، أطبق أهل السنة والجماعة على تفضيل عمر على علي- رضي الله عنهما-، وذلك لا يسوغ نسبة هذا الكلام المجهول الأصل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ويسأل القارئ / أحمد عبد الله سيف الرفاعي- طالب بكلية علوم المنصورة- عن سبعة عشر حديثاً أجتزئ ببعضها، فمنها:
١- (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبيكم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء، ولخرجتم إلى الصعداء تجارون إلى الله ورسوله).

٢- والجواب: أنه- بهذا التمام- ضعيف، وإنما صح منه المقطع الأول وهو قطعة من حديث رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، والحاكم (٢/ ٥١٠، ٤/ ٥٧٩) من طريق إبراهيم بن مهاجر البجلي عن مجاهد عن

يسأل القارئ / إسماعيل أبو الشيخ علي العسقلاني، الطالب بمعهد ملوي الديني سؤالي لا يتسع المقام الآن إلا لأولهما.

إذ سمع من مدرس مواد دينية- بالثانوية العامة- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عمر خير من علي، عمر ينفع الناس حياً وميتاً، وعلي ينفع الناس حياً فقط)، قال: فقال، بأن علي (كذا، والصواب: علياً) نفع الناس في كف الدماء أمام معاوية، أما عمر فينفع الناس حياً بعدله ... إلخ.

قال: (أما في القبر عندما جاء الملكان يحسبان عمر) (كذا، والصواب يحاسبان)، فيقول الأستاذ: إن عمر كان متكئاً على فرش في القبر، فقال له الملكان، من ريك؟ فقال، الله قال (كذا)، وما دينك؟ قال، الإسلام. قالوا (كذا)، وما الإسلام؟ فقال، أتسألون عمر عن الإسلام؟ بل اسألوا الإسلام عن عمر اهـ!!

فالجواب: أن الحديث والأثر الواقعين في كلام المدرس المذكور لا أعلم لهما أصلاً ألبتة، ولا رأيتهما بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا موضوع.

ونكارتها غير خافية، لا سيما الثاني.

نعم، قال أبو الفرج بن الجوزي- عفا الله عنه- في (ذم الهوى) (ص

مورق العجلي عن أبي ذر رضي الله عنه.

وابراهيم هذا ضعيف، قال الحافظ رحمه الله في (التقريب) (٢٥٤): (صدوق لثين الحفظ)، وفيه علة أخرى، مورق العجلي قال أبو زرعة: (لم يسمع من أبي ذر شيئاً) كما في (جامع التحصيل) (٨٠٨)

وبه يُعلم مبلغ الحاكم- رحمه الله- من التساهل، في قوله في الموضع الأول: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)، وفي الثاني مثله بزيادة: (على شرط الشيخين)، فإنما روى له مسلم في موضعين أحدهما متابعة.

تنبيه: لفظ الحديث عند جميعهم: (ولخرجتم إلى الصعدات) وليس: (الصعداء).

أما زيادة: (ورسوله) فمنكرة باطلة لا أصل لها في شيء من طرقه ولا غيره كما سيأتي بإذن الله فلا أدري إن كانت سبق قلم من الأخ القارئ أم هي مقحمة في الكتاب الذي ذكره (مفيد العلوم ومبيد الهموم) للخوارزمي، فإن تكن الثانية فأخشى أن تكون لها أخوات! وعليه فلا يصح أن يركن إلى الأحاديث التي يطفح بها الكتاب المذكور، يغير أسانيد ولا تحقيق وهو لا يختص بهذا، فإن الأحاديث الضعيفة واقعة لا محالة في أمثال (رياض الصالحين) و(المشكاة) و(الترغيب) و(تفسير ابن كثير) ... إلخ، فلا غنى عن السؤال والبحث عن النسخ والطبعات المحققة.

(هذا) وقد خالف البجلي ضعيفاً آخر، فرواه الحاكم أيضاً (٤/ ٥٧٩) من طريق يونس بن خباب يحدث عن أبي ذر، فرفعه

بلفظ: (...) ولما ساء

لكم الطعام ولا الشراب

ولما نمتم على الفرش ولهجرتهم

النساء ولخرجتم إلى الصعدات

تجارون وتبكون (...).

ويونس هذا قال فيه النسائي رحمه الله، (إبراهيم بن مهاجر ليس بالقوي في الحديث، وكذلك يونس بن خباب، هو عندنا دون إبراهيم بن مهاجر)، وضعفه جمهور النقاد- ووهاه بعضهم- ورمي بالغلو في التشيع وشتم الصحابة، وقد أسقط من إسناده مورقاً كما رأينا، وزاد في المتن زيادات منكرة، ومع ذلك قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة) فتعقبه الذهبي بقوله: (قلت: منقطع، ثم يونس رافضياً لم يخرجا له).

ورواه أيضاً (٤/ ٣٢٠) بلفظ: (لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله عز وجل، لا تدرن تنجون أو لا تنجون) من طريق يزيد ابن خمير عن سليمان بن مرشد عن أبي الدرداء مرفوعاً.

وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة)، ولم ينشط الذهبي رحمه الله لتعقبه فاكتفى بالتلخيص قائلاً: (صحيح).

والصواب أنه- بهذا الإسناد- معلول بالوقف، قال ابن أبي حاتم- رحمهما الله- في (علل الحديث) (١٧٩٢): (سألت أبي عن حديث رواد مسلم بن إبراهيم عن شعبة عن يزيد بن خمير....) إلخ.

قال أبي: (كذا حدثنا مسلم، وحدثنا أبو عمر الحوضي عن شعبة عن يزيد بن خمير عن سليمان عن ابن بنت أبي الدرداء عن أبي الدرداء قال: لو تعلمون- موقوف).

قال أبي: وهذا أشبه، وموقوف أصح، وأصحاب شعبة لا يرفعون هذا الحديث) اهـ.

فعاد الحديث موقوفاً، على جهالة في سليمان بن مرثد. وشيخه لم يتسع المقام لتعيينه والتحقق من إدراكه لجدّه.

(ثم) وجدتُ له طريقاً رابعة- عن طريق (موسوعة أطراف الحديث) جزى الله صانعيها خيراً حيث رواه الطبراني في (الأوسط) عن عُمَرَ أثناء حديث طويل منكر، وفيه: (أتضحكون ووراءكم جهنم؟! لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما أسغتم الطعام والشراب، ولخرجتم إلى الصعدات ...) إلخ.

وفيه سلام الطويل، وهو هالك مرمي بالكذب ورواية الموضوعات، وجزم العلامة الشيخ الألباني أمتع الله به، بوضعه ومخالفته للقرآن الكريم في موضعين، وذلك في (الضعيفة) (٩١٠) في بحث جيد نفيس- (خاتمة): أما الحديث بلفظ: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً). فهو ثابت في (الصحيحين) من حديث أنس- وله قصة-، وتفرّد به البخاري من حديث أبي هريرة، وخرجاه في حديث عائشة الطويل في صلاة الكسوف بلفظ (يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم)

فانظر (جامع الأصول) (٦٠٦).

١٩٨٦، ٤٢٦٩) إذ لم

يتسع المقام لعزوه إلى مواضعه في (الصحيحين).

٣- يروى أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ادع الله لي، فقال: (أكثر الله مالك، وأطال عمرك، وأصح جسمك وبدنك).

فالجواب: أنه رواه ابن عساكر عن ابن عمر بلفظ: (أصح الله جسمك، وأطاب حركتك، وأكثر مالك). وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي كذاب يضع، كما في (كنز العمال) (٢٣٢/٣).

فالظاهر أنه مما وضعه. والله أعلم.

٣- قال رجل: يا رسول الله ما الأسقام؟ فقال: (أو ما سقمت قط؟) قال: لا، (فقم عنا، لست منا).

فالجواب: أنه قطعة من حديث طويل رواه أبو داود (١٦٢ / ٢) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور، عن عمه قال: حدثني عمي، عن عامر الرام أخي الخضر قال أبو داود: قال: النفيلى (شيخه في الحديث): هو الخضر ولكن كذا قال- فذكر الحديث بطوله، أما ما ورد في السؤال: (وأصح جسمك وبدنك) فإن كان كذلك في الكتاب المتقدم ذكره، فهذا تكرار يجلب عنه أحاد الفصحاء، فضلاً عن سيدهم وسيد الناس جميعاً صلى الله عليه وسلم.

واسناده ضعيف، فيه أبو منظور، رجل من أهل الشام، وهو مجهول كما في (التقريب) اهـ.

إغاثة الأمة بكشف الغمة

تق الدين المقرري

إنكار وجود
علم الاقتصاد الإسلامي

ينكر العلمانيون واليمينيون واليساريون وجود "علم اقتصاد إسلامي" مستقل، ويرون أن الإسلام دين أخلاقي ينشغل بالحلال والحرام، وليس علماً اقتصادياً، فهو يخلو من القوانين العلمية موضوعية كالعرض والطلب وقوانين الإنتاج والتوزيع التي تخضع للتجربة والقياس، فالإسلام -من وجهة نظرهم- مجرد توجيهات أخلاقية، فضلاً عن أن النصوص الشرعية في الاقتصاد محدودة ولا تكفي وحدها لبناء صرح علمي اقتصادي متكامل ومستقل بذاته دون الاستعانة بالنظريات الوضعية الحديثة، ويروج هؤلاء ما يُعرف بشمولية الاقتصاد الوضعي؛ فيرون أن القوانين الاقتصادية (سواء رأسمالية أم اشتراكية) لا تختلف باختلاف الأديان، وإنما هي تطبق في كل مكان، فهي كما يزعمون محايدة: تطبق على كافة أصحاب الأديان والأعراق والثقافات؛ وفي إطار هذا الفهم لا يمكن أن يوجد نظام اقتصادي إسلامي.

وهذا الفهم يشتمل على مغالطات عديدة، وصلت ببعض فقهاء الاقتصاد المعاصرين من المسلمين الذي يظهرون محبة دينهم إلى الزعم بأن مفهوم الربا

الحمد لله الواحد الأحد؛ الفرد الصمد؛ الذي لم يلد ولم يولد؛ والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

د. أيمن خليل

دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

مفهوم اقتصادي!

وقد شد من أزر هؤلاء أن كثيراً من الباحثين في الاقتصاد الإسلامي لم يبرزوا ذاتيته، وإنما نهجوا نفس منهج البحث في الاقتصاد الوضعي فاستعاروا نفس مصطلحاته في محاولة لإقامة هيكل اقتصادي إسلامي جديد يتشكل إطاره من هيكل الاقتصاد الوضعي في محاولة منهم لإيجاد نوع من التوفيق بين ما يقرره الإسلام من أصول وما يجري في الواقع من أمور هي نتاج منهج أو فكري يختلف بالضرورة عن المنهج أو الفكر الإسلامي، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تأويل متعسف أو إلى التغاضي عن أحكام الشريعة الإسلامية.

وإذا كان علماء الاقتصاد قد اختلفوا بشأن من وضع علم الاقتصاد الوضعي؛ فمنهم من قال بأن الذي وضع علم الاقتصاد هو السير "ويليام بتي" الطبيب ورجل الاقتصاد الإنجليزي في كتابه "بحث في الرسوم والضرائب"، ومنهم من قال بل هو ريتشارد كانتلون في كتابه "طبيعة التجارة"، وهو مصري إنجليزي، منحته فرنسا الجنسية الفرنسية، وأسس بنك جنرال، كما احتكر حق استغلال وتطوير أراضي المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية عام

١٧٣٠م، وأغلبهم يذهب إلى أنه الاقتصادي الاسكتلندي "آدم سميث" الأستاذ بجامعة أدنبره، والذي وضع مبادئ علم الاقتصاد سنة ١٧٧٦م في كتابه "ثروة الأمم"، والذي لخص فيه أهم الأفكار الاقتصادية للفلاسفة والاقتصاديين الذين سبقوه أمثال فرنسو كيناي، وجون لوك، وديفيد هيوم؛ ويرون أن كتابه يمثل نقلة في التفكير والبحث الاقتصادي لأنه استقل بعلم الاقتصاد عن غيره بالتصنيف، وقرر فيه أن المصدر الأول لثروة الأمة ليس الأرض وإنما العمل كما رأى أن ثروة كل أمة تقاس بقدر ما تنتجه وربط الإنتاج بتقسيم العمل، وهو ما ذهب إليه كثير من الباحثين والذين يلقبون آدم سميث بـ "أبو الاقتصاد". ومن ثم، فعلم الاقتصاد علم حديث النشأة، ومن ثم فقبل هؤلاء الغربيون المنسوب إليهم تأسيس علم الاقتصاد، وفي الوقت الذي كانت الدول الغربية تعيش فيما أسمته بعصور الظلام، كانت الدول الإسلامية تواجه مشاكلها الاقتصادية وتضع لها حلولها بما ينسجم مع التعاليم الإسلامية، فالإقتصاد الذي يدور حول كيفية الاختيار من بين الاستخدامات البديلة

للموارد الاقتصادية المتاحة لإشباع الحاجات الإنسانية، كان معروفاً في الدولة الإسلامية، ووفقاً لتعاليم الإسلام كان يتم تخصيص وتوزيع الموارد بما ينسجم مع التعاليم الإسلامية. ولكن كان الاقتصاد الإسلامي مختلفاً بغيره من العلوم الاجتماعية، ولذا لم يُضرد هذا العلم بتصنيف مستقل وإن كانت بعض موضوعاته قد صُنفت فيها مصنفاً مستقلة. ومن مطالعة المصنفات التي ألفها العلماء المسلمين في بعض الموضوعات الاقتصادية نجد أنها تميزت بانطلاقها من العقيدة الإسلامية، فالإقتصاد في الإسلام ليس كالاقتصاد الوضعي نظريات من وضع الفلاسفة أو المفكرين، وإنما الاقتصاد في الإسلام يستمد أصوله من الوحي فهورباني المصدر، كما أنه يرتبط ارتباطاً لا يقبل التجزئة بالآخرة، فهناك ترابط لا يقبل التجزئة بين الدنيا والدين؛ وبين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، فالحياة ليست مقصداً في ذاتها، بل هي وسيلة إلى غاية، يقول سبحانه وتعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُم إِنَّا لَا تَرْجِعُونَ) سورة المؤمنون الآية (١١٥).

بعض مصنقات فقهاء المسلمين

وكانت الكتب المتخصصة في المالية العامة ككتاب "الخراج" للخراج لصاحب أبي حنيفة أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٢هـ، الذي نظم فيه كيفية جباية الخراج وأوجه إنفاقه بما يحقق التنمية الاقتصادية. وكان الخراج من أهم مصادر بيت المال آنذاك، وكتاب "الكسب" أو (الاكتساب في الرزق المستطاب) لمحمد بن الحسن الشيباني ت ١٨٩هـ، وهو أيضًا صاحب أبي حنيفة؛ وأحد شيوخ الشافعي. وقد تكلم في هذا الكتاب عن الاكتساب وهو تحصيل المال بما يحل من الأسباب، وكتاب "الأموال" لأبي عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ، والذي افتتحه ببيان حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام، ثم تناول فيه صنوف الأموال التي يليها الإمام للرعية (ليؤكد على أن الحاكم أجير لدى المحكومين ويدير أموال الدولة لصالحهم على النحو الأمثل)، ثم تكلم عن الفئ وأحكامه، ثم عن الأراضي المفتوحة، واقطاع الأراضين وما يتعلق به من أحكام، ثم كتاب الخمس، ثم اختتم بكتاب الصدقة وأحكامها وآخر أبواب كتابه "باب إعطاء أهل الذمة من الصدقة وما يجزئ من ذلك

وما لا يجزئ".

ومثله كتاب الأموال لابن زنجويه، وكتاب "الأحكام السلطانية"، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، الذي تناول فيه العديد من المسائل الاقتصادية، وكتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)؛ الذي تكلم في جزء منه عن صعوبة المقايضة وأهمية النقود ووظائفها، تشهد بفضل علماء المسلمين وسبقهم. وكتاب "الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأعراض وردئها وغشوش المدلسين فيها" لأبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي، والذي تناول في كتابه العديد من القضايا الاقتصادية مثل: الحاجات، وتحدث عن تقسيم العمل وشرح فكرة تفاضل الصنائع والعلوم، ثم تحدث عن تاريخ النقود وأصل نشأتها وما كان من المقايضة قبل ذلك وصعوباتها. وكتاب "الاستخراج لأحكام الخراج" لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جعله مؤلفه في عشرة أبواب وتحدث فيه عن معنى الخراج لغة، وهل الخراج أجر أو ثمن أو جزية، وما ورد في السنة من ذكر الخراج، وأصل

وضع الخراج وأول من وضعه في الإسلام، ومن يوضع عليه الخراج من الأرض وما لا يوضع، ومقداره ومصارفه.

العز ابن عبد السلام

والمنفعة الحدية:

كما بين العز بن عبد السلام (أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي)، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) في كتابه "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" أسس نظرية "المنفعة الحدية" التي تعتبر أن منفعة السلعة تكمن في قدرتها على إشباع حاجة من يحصل عليها، وبالتالي فبعد اكتفائه منها تتراجع قيمتها، وأن الفقير ينظر إلى الدينار نظرة مختلفة عن نظرة الثري له لتباين نظرتهما إلى قيمته".

وينقل قول الإمام الشافعي: "فقد يرى الفقير المدقع الدينار عظيمًا بالنسبة إليه، والغني المكثّر قد لا يرى المئتين عظيمة بالنسبة إلى غنائه".

وهو ما يؤكد زيف القول بعدم وجود "علم اقتصاد إسلامي" ومجانبة هذا الفهم للصواب، وسنعرض فيما يلي لبعض فقهاء المسلمين الذين صنفوا في العديد من المسائل المالية والاقتصادية التي كانت في زمانهم، لنجد بعض المسائل التي تطرح في

عصرنا الحاضر قد تناولها هؤلاء الفقهاء.

ابن خلدون مؤسس علم الاقتصاد:
كتاب "المقدمة" لابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد: ولي الدين الحضرمي الأشبيلي (ت ٨٠٨هـ) تكلم عن مسائل اقتصادية عديدة مثل: تقسيم العمل والأسعار والنقود والعرض والطلب وتقسيم السلع إلى ضرورية وكمايلية، ودرس ابن خلدون هذه المسائل الاقتصادية بطابع تحليلي ودرس البواعث والعوامل ذات الطابع الاقتصادي التي يخضع لها سلوك الأفراد والجماعات، ولكن رغم بحث ابن خلدون للظواهر الاقتصادية وتعرضه لها وتحليلها بعمق إلا أن دراسته هذه جاءت متصلة ببحث التاريخ والمسائل الاجتماعية الأخرى، ومن ثم فرغم أن ابن خلدون له فضل السبق على آدم سميث وويليام بتي وكانتلون، إلا أنه لم يذكر ضمن مؤسسي علم الاقتصاد بزعم أنه لم يدرس هذه المسائل مستقلة. وسنبين بالتفصيل في عدد قادم -بمشيئة الله- أن ابن خلدون وإن كان يُعرف بأنه مؤسس علم الاجتماع إلا أنه في الحقيقة هو أيضاً مؤسس علم الاقتصاد.

إغاثة الأمة

بكشف الغمة للمقريزي

ونلقني الضوء على كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة" لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ): والذي يُعد أول مؤرخ مصري يتعرض للناحية الاجتماعية الاقتصادية من تاريخ مصر. فقد عاش في العصر المملوكي في زمن فشلت فيه مجاعة وتردت فيه الأحوال الاقتصادية، فصور الأزمات الاقتصادية والمجاعات التي عاشتها مصر أحسن تصوير، مبيناً ما لاقته جموع المصريين من ضروب المحن والمآسي، وأكد المقريزي أن المصائب والمحن تعاضلت على الناس في مصر بحيث ظن الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى مثلها ولا مرة في الزمان شبهها، بدأ يبحث عن سبب هذه المحن والأزمات ليحجب عن سؤال محدد: هل هذه المصائب قدر محض لا دخل لنا في حصوله ولا سبيل لنا إلى دفعه؛ وإنما الواجب علينا فقط الصبر عليها، أم أن لها أسباباً يمكن اجتنابها والتحرر منها؟ وانتهى إلى نتيجة واضحة في عبارة لا تبس فيها ولا غموض وهي: أن ما نزل بالناس من مصائب له

سببان:

السبب الأول: أن المحن الاقتصادية عقوبة من الله على الذنوب والمعاصي؛ فيبين كيف انتشرت الخمر بمصر وكثر شربها بين مختلف طبقات المجتمع، وكيف أن رجال الدين حدثوا السلطان بوجوب تغيير هذه المنكرات حتى يرفع الله هذا البلاء عن البلاد والعباد. ويذكر المقريزي في كتابه "السلوك لمعرفة دول الملوك" أن السلطان ندب الأمير سيف الدين الشخي من المماليك البرجية وأمره ألا يدع بيتاً بمصر والقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدانهم ببلغه أن فيه خمراً إلا ويكبسه (يдахمه)، ويكسر ما فيه.

ويبين أنه كان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار فيقول: "...وأخذ في كبس البيوت؛ فكان الرجل لا يشعر إلا به في مماليكه وقد هجم عليه ومعه النجارون والبناءون لتفقد مطامير الخمر وإخراجها فإذا ظفر بها كسر سائر ما فيها، فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد واقتضح كثير من المستورين ونُهب من بيوتهم أشياء؛ لكثرة ما كان يجتمع من العامة ولضرار صاحب البيت خوفاً على نفسه، وأخذ الأجناد وغيرهم من ذلك ما



أغناهم، وأخذ الناس يدل بعضهم على بعض. وتشقى جماعة من أعاديهم بذلك، وكبست أيضاً دور اليهود والنصارى وأريق ما فيها من الخمر ... وتعدى الأمر دور الأمراء فكبست دور من عرف بشرب الخمر منهم. ومنها دار الأمير علاء الدين مغلطي السعودي أحد أمراء الألوفا من البرجية. فأزال الله بذلك فساداً كبيراً، ووقع أيضاً بسببه من نهب الأموال فساد كبير، فلما اشتد الأمر تجمع الأمراء وحدّثوا السلطان فيه فكف عنه..." (السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، ص ٤٣٠).

ولا ريب أن شارب الخمر مرتكب لكبيرة من أكبر الكبائر، إلا أنه طالما استتر بها فلا ينبغي أن يقتحم عليه داره ولا أن يهتك ستره، وإنما يكون الواجب حينئذ أن يقوم العلماء والدعاة بالوعظ والنصح والتذكير بعقاب الله والتخويف به، كما أنه لا ينبغي أن تقتحم دور النصارى وإراقة ما بها من خمر؛ لأن الخمر وإن لم تكن مالا مصونا عند المسلم إلا أنها مال عند النصارى؛ لكونهم يعتقدون حلها، ومن جهة أخرى فما يثير التعجب هو سرقة الجند والعوام للبيوت التي اقتحموها لإزالة المنكر منها -وهي الخمر- فوقع منهم

منكرات أشد؛ منها انتهاك حرمة البيوت بغير إذن أصحابها، ونهب أموالهم، والسرقعة تحت رهبة هذه الجموع وسطوتها، وهذه كلها كبائر لا تقل عن شرب الخمر: (فعقوبة السرقة أشد من عقوبة شرب الخمر)، وهذا الصنيع يصادم ما اتفق عليه العلماء من وجوب إزالة المنكر بغير منكر. ولذلك كان على السلطان اختيار من يجمع بين العلم الشرعي والقوة في الحق.

السبب الثاني: سوء تدبير الحكام وعدم نظرهم في مصالح العباد:

لم يقف المقريزي في بحثه عن أسباب تردي الأوضاع الاقتصادية في فساد الرعية، وإنما أرجع السبب الأكبر إلى سوء تدبير الحكام وغفلتهم عن النظر في مصالح الرعية، وجعلوا همهم في جني الأموال والاكثار منها والاحتفاظ بالسلطة والحكم بمختلف السبل والوسائل، ويحمل المقريزي المسؤولية للحكام الغافلين عن مصالح العباد، والغارقين في ملذات الدنيا وعبتها.

كما يبين المؤرخ المقريزي كيف أن احتكار سلاطين الممالك لبعض السلع أدى إلى ارتفاع أسعارها، ويبين أن إسناد الولايات السلطانية

والدينية بالرشوة (إذا كان متولي الولايات العامة يبذل في سبيلها الأموال الطائلة فلا بد أن يجني أضعافها، وبذا انتشر الفساد في البلاد)، فأهم أسباب انتشار المجاعات تولي الفاسدين مقاليد البلاد؛ وانصرافهم عن تحقيق مصالح الخلق إلى الاستيلاء بغير وجه حق على أموال العباد، حتى ضج الناس من شدة المغارم وضاقوا من كثرة المظالم.

قام المقريزي بتحليل العوامل الاقتصادية والاجتماعية المؤدية لهذه الأزمات، فبحث مسألة أسباب غلاء المعيشة في مصر، وانتهى إلى أن السبب فيما يكابده أهل مصر يرجع إلى ثلاثة أسباب هي: سوء التدبير والفساد الإداري، وغلاء الأطين (العقارات) ورواج الفلوس (التضخم نتيجة الإسراف في سك العملة). (إغاثة الأمة بكشف الغمة : للمقريزي، ص ١١٧ وما بعدها).

ليس سبق المقريزي للاقتصاديين في زماننا هذا حينما يحذر من الكلفة الباهظة للفساد الإداري، ومن خطر الاقتصار على الاستثمار العقاري (فلا بد أن تكون الأولوية للزراعة والصناعة). ويحذر من التضخم الناتج عن كثرة

النقود المتداولة بين أيدي الناس وزيادتها عن السلع التي في المجتمع.

النظرية الاقتصادية

عند المقريري:

انطلق المقريري في كتابه "إغاثة الأمة بكشف الغمة" يعرض لدور الدولة في النشاط الاقتصادي، وتناول مفهوم التنمية والتخلف، ومن خلال هذا الكتاب عرض المقريري لأرائه في النظرية الاقتصادية من خلال قضايا الاستثمار، والإنتاج والاستهلاك، والادخار، والتوزيع والفاصل الاقتصادي وأهميته في التنمية، كما عرض للسوق وأحكامها، وبين أقسام الناس في المجتمع المصري وجعلهم سبعة أقسام جعل أولها أهل الدولة، أما سابعا فهم أهل الخصاصة والسكنة والذين قال عنهم المقريري: "... وهؤلاء فني معظمهم جوعا وبردا ولم يبق منهم إلا أقل من القليل..." (إغاثة الأمة بكشف الغمة: ص ١٤٧: ١٥٠).

المقريري "أبو النقود" وهو واضع نظرية (النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة) قبل جريشام: يتحدث المقريري عن

النقود ويعرض لنشأتها منذ بدء الخليقة وحتى الجاهلية وفي الإسلام وحتى عصره، وأكد أن النقود في مصر كانت من الذهب فقط. أما الفضة فكانت تتخذ حليا أو تصنع منها الأواني، ولما انتقل الناس من ذلك إلى التعامل بالفلوس وإلى غش العملات الذهبية كان هذا أحد أسباب الأزمات المالية التي عانى منها أهل مصر؛ حيث اختفت العملات الذهبية، وعرض المقريري لدور النقود في المجتمع ولكيفية تسببها في إحداث الأزمات. (إغاثة الأمة: ص ١٢٧).

كما لفت المقريري الأنظار إلى شيء شديد الأهمية، وهو ما تؤدي إليه كثرة النقود المتداولة، وذكر كلاما واسعاً حول النقود والأسعار، كما بين دور الدولة في النشاط الاقتصادي ومالية الدولة، ليسبق في بحثه لهذه الظاهرة الاقتصادية الاجتماعية من الناحية التاريخية علماء الاقتصاد الغربيين، والتي حاول سبر غورها وبحث أسبابها ووضع الحلول لها. وقد لاحظ عديدون أن بعض علماء الاقتصاد

الغربيين قد تأثروا بأفكار المقريري، بل انتهى بعض الباحثين إلى أن ما اصطلح عليه في الاقتصاد بقانون جريشام (النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة) -الذي وضعه السير توماس جريشام مستشار ملكة إنجلترا- ما هو إلا قانون المقريري؛ حيث سبق المقريري جريشام إلى النتائج التي توصل إليها، ولذلك استحق المقريري وبحق أن يلقب بـ"أبو النقود".

وبذلك نكون قد عرضنا - بما يتسع له المقام- لنموذج من تراثنا تضمن مصنفات أحد علماء المسلمين، والذي تناول موضوعات اقتصادية بحثت ولكن بالصيغة الإسلامية، وهو ما يؤكد قدم وسبق الفكر الاقتصادي الإسلامي على غيره، كما يؤكد أن المعاملات الإسلامية تنطلق من أصوله وثوابته، ولذلك تميز الفقهاء المسلمون عن غيرهم.

وما ذكرناه إنما أردنا به التمثيل وضرب المثل فقط، وبقدر ما اتسع له المقام والوقت، والحمد لله رب العالمين.



إن الدين يسر

اعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ.

وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق بالفاظ أخرى مقاربة: باب القصد والمداومة على العمل، بروايات عدة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة؛ وأن أحب الأعمال أدومها وإن قل. وعن أنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أدومها وإن قل، وقال: اكلفوا من العمل ما

أخرجه البخاري - كتاب الإيمان، باب: الدين يسر وقول النبي صلى الله عليه وسلم: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة. حديث رقم: ٣٩.

وأخرجه النسائي عن أبي هريرة ولفظه: إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ.

تطيقون.

وفي لفظ قال: سدّدوا وقاربوا وأبشروا؛ فإنه لا يدخل أحدًا الجنة عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة.

وفي كتاب الإيمان من صحيح البخاري أيضًا باب: أحب الدين إلى الله أدومه، عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة، قال: من هذه؟ قالت: فلانة.. تذكر من صلاتها. قال: مه.. عليكم بما تطيقون.. فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

وفي كتاب الصوم من صحيح البخاري.. باب صوم شعبان، عن عائشة: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرًا أكثر من شعبان؛ فإنه كان يصوم شعبان كله، وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وأحب الصلاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دووم عليه. وكان إذا صلى صلاة داوم عليها.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد.

قال ابن حجر في شرح الباب والحديث

قوله: (باب الدين يسر)، أي: دين الإسلام ذو يسر، أو سمى الدين يسرًا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم. ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم. يريد: توبة بني إسرائيل بعد ما عبدوا العجل

كما في قوله تعالى: «وَأَذْهَبَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ» (البقرة: ٥٤).

قوله: (أحب الدين) أي: خصال الدين؛ لأن خصال الدين كلها محبوبة، لكن ما كان منها سمحًا-أي: سهلًا- فهو أحب إلى الله. ويدل عليه ما أخرجه أحمد بسند صحيح من حديث أعرابي لم يسمه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خير دينكم أيسره، وأحب الأديان إلى الله الحنيفية».

والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتُنسخ. والحنيفية ملة إبراهيم. والحنيف من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفًا لميله عن الباطل إلى الحق؛ لأن أصل الحنف الميل. والسمحة السهلة، أي: أنها مبنية على السهولة. لقوله تعالى: «وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ». والحديث المعلق لم يستند البخاري في الصحيح لأنه ليس على شرطه. نعم وصله في كتاب الأدب المفرد، وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وإسناده حسن. واستعمله البخاري في الترجمة لكونه متقاصرًا عن شرطه، وقوّاه بما دل على معناه لتناسب السهولة واليسر، والحديث من أفراد البخاري عن مسلم، وصححه- وإن كان من رواية مدلس بالنعنة- لتصريحه فيه بالسماع من طريق أخرى.

وأخرجه المصنف في كتاب الرقاق بمعناه ولفظه «سدّدوا وقاربوا»، وزاد في آخره

”والقصد القصد تبلغوا“

ولم يذكر شقه الأول. وقد أشرنا إلى بعض شواهد ومنها حديث عروة الفقيمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن دين الله يسر"، ومنها حديث بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم هدياً قاصداً، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه" رواهما أحمد وأستاد كل منهما حسن.

قوله: (ولن يشاد الدين إلا غلبه) هكذا في روايتنا بإضمار الفاعل. وثبت في رواية ابن السكن وفي بعض الروايات عن الأصيلي بلفظ "ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"، وكذا هو في طرق هذا الحديث عند الاسماعيليين وأبي نعيم وابن حبان وغيرهم. والدين منصوب على المفعولية وكذا في روايتنا أيضًا، وأضمر الفاعل للعلم به.

وحكى صاحب المطالع أن أكثر الروايات برفع الدين على أن يشاد مبني لما لم يُسم فاعله، وعارضه النووي بأن أكثر الروايات بالنصب، ويجمع بين كلايهما بأنه بالنسبة إلى روايات المغاربة والمشاركة

ويؤيد النصب لفظ حديث بريدة عند أحمد
 "إنه من شاد هذا الدين يغلبه" ذكره في حديث
 آخر يصلح أن يكون هو سبب حديث الباب.

والمشادة بالتشديد المغالية، يقال: شاده يشاده مشادة إذا قواوه. والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيقلب. قال ابن المنير: "في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي

إلى الملل، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار. أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة.

وفي حديث محجن بن الأدرع عند أحمد
 "إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وخير
 دينكم اليسرة"، وقد يستفاد من هذا الإشارة
 إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإن الأخذ
 بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع، كمن
 يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء
 فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر.

قوله: (فسددوا) أي: الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط. قال أهل اللغة: السداد التوسط في العمل.

قوله: (وقاربوا) أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

قوله: (وأبشروا) أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قل. والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صناعته لا يستلزم نقص أجره، وأبهم المبشر به تعظيماً له وتفضيحاً.

قوله: (واستعينوا بالغدوة): أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة.

والغدوة بالفتح سير أول النهار. وقال الجوهري: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. والروحة بالفتح السير بعد الزوال. والدلجة بضم أوله وفتحها واسكان اللام سير آخر الليل، وقبل

سير الليل كله، ولهذا عبر فيه بالتبويض؛ ولأن عمل الليل أشق من عمل النهار.

وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافرين، وكأنه- صلى الله عليه وسلم- خاطب مسافراً إلى مقصد فنبهه على أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعاً عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة.

وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلى الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة. وقوله في رواية ابن أبي ذئب "القصْدُ القصْدُ" بالنصب فيهما على الإغراء، والقصْدُ الأخذ بالأمر الأوسط، ومناسبة إيراد المصنف لهذا الحديث في كتاب الإيمان عقب الأحاديث التي تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد، فأراد أن يبين أن الأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدرج ليدوم عمله ولا ينقطع. (انتهى بتصرف يسير من فتح الباري).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنه لا يدخل أحدا الجنة عمله". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة". لا يعني أن الأعمال ليس لها قيمة ولا تأثير في دخول الجنة، ولا فقد قال الله تعالى: **«وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»** الزخرف: ٧٢.

وقال الله عز وجل في شأن السابقين المقربين: **«جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»** أي: هذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل.

والجمع بين هذه الآيات والحديث أن الجنة

ليست عوضاً وثمناً للعمل، ولكن العمل سبب لدخول الجنة، وإنما يدخلها من يدخلها برحمة الله إذا أخذ بالسبب الذي جعله الله سبباً لدخولها، فإن رحمة الله لا ينالها إلا من اجتهد في طاعة الله وأحسن العمل؛ كما قال تعالى: **«إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»** الأعراف: ٥٦. وقال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»** البقرة: ٢١٨.

فعلى العبد أن يتحرى مواقع رحمة الله تعالى مجتهداً في العمل الصالح غير راكن إلى هذا العمل علماً أنه إنما يدخل الجنة ويستحق المثوبة بفضل الله ومنته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقوله صلى الله عليه وسلم: "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله"، لا يناقض قوله تعالى: **«جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»**؛ فإن المنفي نفي بقاء المقابلة والمعاوضة، كما يقال: بعث هذا بهذا، وما أثبت أثبت بقاء السبب، فالعمل لا يقابل الجزاء وإن كان سبباً للجزاء.

ولهذا من ظن أنه قام بما يجب عليه وأنه لا يحتاج إلى مغفرة الرب تعالى وعفوه، فهو ضالٌّ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لن يدخل أحد الجنة بعمله". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل" وروي "بمغفرته".

فاللهم إنا نسألك من فضلك ورحمتك.. فإنه لا يملكها إلا أنت.

وصل اللهم على محمد نبي الرحمة وآله وصحبه ومن تبع هداة.



باب التراجع

الدكتور محمد خليل هراس (رحمه الله)

اعداد: أ. ربيع محمود

وكان أول رئيس لها.
- كان رحمه الله سلفي المعتقد، شديدًا في الحق، قوي الحجّة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف ونشر السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة.

قال عنه فضيلة الشيخ محمد رشاد الشافعي: (كان يلاقي رحمه الله من عنت الجبارين وكيد المبتدعين وزندقة الملحدين ما لا يطيقه إلا الصابرون والمحاسبون)؛ حيث ظل رحمه الله طوال حياته مدافعًا عن الحديث الشريف الصحيح من اعتداءات منكري السنة، فكان رحمه الله أول من رد عليهم كيدهم فتعرض رحمه الله لمحاولات عديدة للقتل من متشدي الصوفية ومنكري السنة، فنجاه الله حتى يكون شوكة في حلوقهم، وقد ركز رحمه الله على كتابة كتب العقيدة مثل الصفات الإلهية عند ابن تيمية، شرح العقيدة الوسطية، ابن تيمية السلفي.

مكانته العلمية:

كان رحمه الله على قدر كبير من التميز في دراسة العقيدة السلفية ومُلِمًا إمامًا دقيقًا بذكر الفرق الضالة المختلطة، وكان رحمه الله يتكلم في موضوعات تحسبها لأول وهلة أنها من أعقد قضايا الاعتقاد، لكن الشيخ رحمه الله كان له القدرة على أن يُجَلِّي غامض الأمور.
وكان من معارفه وممن كانوا رفقاء له وكانوا

أحد أبرز علماء جمعية أنصار السنة المحمدية

هو الإمام العلامة، السلفي، المحقق، ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ الدكتور محمد خليل حسن هراس رحمه الله.

- وُلِدَ (١٩١٦م) بقرية الشين - مركز قطور - محافظة الغربية (طنطا) - مصر.

- ثم بدأ تعليمه في الأزهر الشريف عام ١٩٢٦م، ثم تخرج في الأزهر من كلية أصول الدين عام ١٩٤٠م، وحاز على الشهادة العالمية العالية (الدكتوراه) في التوحيد والمنطق. وكان موضوع الرسالة (ابن تيمية السلفي).

- عمل أستاذًا بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر.

- أعير إلى المملكة العربية السعودية - بطلب من العلامة عبد العزيز بن باز - ودرّس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ثم أعير مرة أخرى لكي يدرس العقيدة الإسلامية بمكة المكرمة، وأصبح رئيسًا لشعبة العقيدة في قسم الدراسات العليا في (كلية الشريعة سابقًا / جامعة أم القرى حاليًا) بمكة المكرمة.

- عاد إلى مصر، وشغل منصب نائب الرئيس العام لجمعية أنصار السنة، ثم الرئيس العام لها بالقاهرة.

- وفي عام (١٩٧٣م) - قبل وفاته بسنتين - اشترك مع الدكتور عبد الفتاح سلامة في تأسيس جماعة الدعوة الإسلامية في محافظة الغربية.

يقدرونه حق قدره ويعرفون مكانته العلمية جماعة من كبار العلماء من أمثال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله الذي ألح على طلب إعارته للتدريس بمكة المكرمة وذلك بعد معارضة الأزهر لذلك، غير أن الملك فيصل رحمه الله طلب وألح في طلبه وبقي في هذا المنصب حتى توفاه الله.

وكان من عارفه أيضاً الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل، رئيس قسم العقيدة الإسلامية بجامعة أم القرى، وفضيلة الشيخ محمد حامد الفقي، وغيرهم كثير.

تلاميذه:

ممن تتلمذ على يديه رحمه الله:

١. الشيخ محمد أمان بن علي الجامي.

٢. الشيخ علي بن ناصر الفقيهي.

٣. الشيخ عبد الفتاح سلامة. رحمهم الله جميعاً، وغيرهم كثير.

موقفه من الدعوة الوهابية:

كتب رحمه الله كتاباً في نصرة الدعوة السلفية والرد على المناوئين لها سماه: (الحركة الوهابية رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية).

قال رحمه الله (ص ٣٤): (... هذه الحركة تنادي باتباع مذهب السلف في صفات الله تعالى.... بل لعلها الآن هي الحركة الإسلامية الوحيدة التي تتبنى هذا المذهب السلفي وتعمل ما وسعها على نشره والدعوة إليه بمختلف الوسائل لا سيما عن طريق طبع الكتب والرسائل التي ألقت في مناصرته قديماً وحديثاً).

وقال في (ص ٣٥): (إن الوهابية لم تقم لاجتهاد في الفروع ولكنها قامت لتصحيح الأصول).

وقال واصفاً الدعوة بأنها أحييت آراء ابن تيمية في (ص ٤٣): (... تلك مضخرة من مفاخر هذه الدعوة ستظل تذكر لها بالعرفان والتقدير فإن كتب شيخ الإسلام ورسائله كانت مطمورة تحت ركام الإهمال والنسيان لا يسمح لها أهل البدع والإلحاد أن ترى النور ولا أن تقوم بدورها

الخطير في توجيه العالم الإسلامي نحو الطريق الصحيح... فلما قامت هذه الحركة المباركة أخذت تنقب عن تلك الثورة الهائلة التي خلفها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله وجد المسؤولون عن هذه الدعوة في إبراز هذه الكنوز بالطبع والنشر).

ثم وجه كلاماً للدكتور محمد البهي بالرجوع إلى الحق قائلاً في (ص ٧٧): (ولقد أساء الدكتور بهذا المقال إلى نفسه أولاً حيث ورطها في أخطاء ظاهرة الشناعة، ثم أساء إلى الحقيقة في نفسها حيث ظلمها وتجنى عليها، فهل للدكتور- في ضوء تعقيبنا على مقاله- أن يراجع نفسه ويرجع عما قاله عملاً بالمثل القائل إن الرجوع إلى الحق خير من التماسي في الباطل؟! هذا ما نرجوه...).

مؤلفاته:

- له مؤلفات عدة منها:

١- «ابن تيمية السلفي» وهي الأطروحة التي تقدم بها الشيخ وحصل بها على درجة العالمية (الدكتوراه).

٢- تحقيق كتاب «المغني» لابن قدامة. وقد طبع لأول مرة في مطبعة الإمام بمصر.

٣- تحقيق وتعليق على كتاب «التوحيد» لابن خزيمة.

٤- تحقيق وتعليق على كتاب «الأموال» لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٥- تحقيق ونقد كتاب «الخصائص الكبرى» للسيوطي.

٦- تحقيق وتعليق على كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام.

٧- شرح «القصيدة النونية» لابن القيم في مجلدين.

٨- شرح «العقيدة الواسطية» لابن تيمية.

وفاته:

توفي رحمه الله في شهر سبتمبر عام ١٩٧٥م (عن عمر يناهز الستين) بعد حياة حافلة بالعطاء. رحم الله الشيخ محمد خليل هراس، وأجزل له المثوبة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بيان جمعية أنصار السنة الحمدية بمصر بشأن الاعتداء على الحرمين الشريفين

وَالرُّكُوعِ السُّجُودِ» (البقرة: ١٢٥).

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَمُهَا اللَّهُ، وَلَمْ يَحْرَمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لَأَمْرِي يَوْمُنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْصِدَ بِهَا شَجَرًا، فَإِنْ تَرَخَّصَ أَحَدٌ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ أَذَنُ لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكَ،

وقد جعل الله تعالى مكة بلدًا حرامًا آمنًا، فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِجَادِ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» (الحج: ٢٥). وقال تعالى: «وَعَهْدُنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فإن الله تعالى أمر بتعظيم حرماته وشعائره، فقال سبحانه: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ» (الحج: ٣٠)، وقال تعالى: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» (الحج: ٣٢).

وانما اذن لي فيها ساعة من
نهار، وقد عادت حرمتها
اليوم كحرمتها بالأمس،
وليبغ الشاهد الغائب».
متفق عليه.

كما ثبت عنه صلى الله
عليه وسلم في شأن المدينة
النبوية: «من أراد أهل
المدينة بسوء أذابه الله
كما يذوب الملح في الماء» رواه
مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم:
«إن إبراهيم حرم مكة
ودعا لأهلها، وإني حرمت
المدينة كما حرم إبراهيم
مكة، وإني دعوت في صاعها
ومدها بمثلي ما دعا به
إبراهيم لأهل مكة».. رواه
مسلم.

وبناء على ذلك، فإن
جمعية أنصار السنة
المحمدية بمصر تستنكر
بأشد العبارات كل اعتداء
أو محاولة لاستهداف مكة
المكرمة أو المدينة المنورة،
أو تعريض أمن الحرمين
الشريطين وضیوف
الرحمن للخطر.

وقد تابعت الجمعية بقلق
بالغ ما أعلنته الجهات
السعودية المختصة بشأن
إطلاق طائرة مسيرة
باتجاه مكة المكرمة في

١٥ سبتمبر ٢٠٢٦، والتي
أعلن اعتراضها وتدميرها
قبل دخولها المجال
الجوي المحظور للعاصمة
المقدسة. كما تستنكر
الجمعية كل ما من شأنه
تهديد أمن بلاد الحرمين
الشريطين أو تعريض
المدنيين والمنشآت للخطر.
كما تستنكر الجمعية
الاعتداءات العسكرية
التي طالت المملكة العربية
السعودية ودول الخليج
العربي، وما ترتب عليها
من تهديد لأمن المنطقة
واستقرارها، وتؤكد
أن الحرمين الشريطين
ومكانتهما في قلوب
المسلمين يجب أن يبقيا
بمنأى عن الصراعات
والنزاعات السياسية
والعسكرية.

إن حرمة مكة والمدينة
ليست شأنًا سياسيًا عابرًا،
ولا ينبغي أن تكون محلاً
للمناورات العسكرية أو
الصراعات الإقليمية؛
فهما حرمان عظيمان لهما
مكانتهما التي شرعها الله
تعالى، ويجب على جميع
الأطراف احترام حرمتها
وتجنبهما كل صور
التهديد والاعتداء.

وتدعو الجمعية جميع
الأطراف إلى ضبط
النفس، ووقف التصعيد،
والاحتكام إلى الحوار
والوسائل السلمية في
معالجة الخلافات،
وتجنب شعوب المنطقة
مزيداً من الدماء والدمار،
والعمل على إعادة الأمن
والاستقرار إلى اليمن
وسائر بلاد المنطقة.

كما تنشد الجمعية علماء
الأمة وولاة أمور المسلمين
وأهل الحكمة والرأي أن
يبدلوا ما يستطيعون من
جهود في حماية المقدسات،
وحقق الدماء، واطفاء
نار الفتن، وتحقيق الأمن
والسلام لشعوب المنطقة.

ونسأل الله تعالى أن
يحفظ مكة المكرمة
والمدينة من كل سوء، وأن
يحفظ بلاد الحرمين
وبلاد المسلمين، وأن يوفق
ولاة أمور المسلمين لما
فيه الخير والصالح، وأن
يحقق الدماء، ويجمع
الكلمة، ويعيد إلى اليمن
وسائر بلاد المسلمين الأمن
والأمان والاستقرار.
وصلى الله وسلم وبارك
على نبينا محمد، وعلى
آله وصحبه أجمعين.

من هدي رسول الله التحذير من المظالم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خلس المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة» (صحيح البخاري)

مع شريك كتاب الله

عبادة الذكر سبب النجاة

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما» (الأحزاب: ٤١-٤٣)

واحة التوحيد

حكم ومواعظ

قال الحسن البصري: «المؤمن في الدنيا كالأسير، يسعى في فكاك رقبتة، لا يأمن شيئا حتى يلقي الله عز وجل» (حلية الأولياء)

من أقوال السلف

عن الوليد بن مسلم رحمه الله قال: «سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الصفات، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف» (شرح السنة للإكائي)

من فضائل الصحابة

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقروهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلّ والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» (مسند أحمد)

مع فضائل الشريعة

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن انتهاء ملك فارس والروم

عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» (مسند أحمد)

من درر العلماء

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:
«الإنسان خلق في الأصل ظلوماً
جهولاً، ولا ينفك عن الجهل والظلم
إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه، ويهمله
رُشدُه. فمن أراد به خيراً علمه ما
ينفعه، فخرج به عن الجهل، ونفعه
بما علمه فخرج به عن الظلم، ومن لم
يرد به خيراً أبقاه على أصل الخلقة.
فأصل كل خير هو العلم والعدل، وأصل
كل شر هو الجهل والظلم»
(اغاثة اللهفان)

من دعاء النبي التعوذ من الفقر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم، كان
يقول: «اللهم إني أعوذ بك من
الفقر، والقلّة، والذلة، وأعوذ بك من
أن أظلم أو أظلم» (مسند أحمد).

إعداد/ د. علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«توسلوا بجاهي؛ فإن جاهي
عند الله عظيم». لا أصل له.
وهو من التوسل المبتدع الذي
نهى عنه العلماء، وقد نص على
ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في
«القاعدة الجليّة»
(السلسلة الضعيفة للألباني)

من منافع الأحاديث

«لتركبن سنن من كان
قبلكم حدوا النعل
بالتعل؛ أي: تعملون
مثل أعمالهم كما تقطع
أحدى النعلين على قدر
النعل الأخرى. والحدو،
التقدير والقطع. (غريب
الحديث لابن الأثير)

من حكمة الشعر

قال الشافعي في الهمة في طلب العلم:
بقدر الكد تكتسب المعالي

ومن طلب العلاء سهر الليالي
تروم العز ثم تنام نيلاً
يفغوص البخر من طلب اللآلي

تلاوة القرآن

وتدبره والعمل بما فيه

قال الفضيل بن عياض:
«إنما نزل القرآن ليُعمل به،
فاتخذ الناس قراءته عملاً. قيل:
كيف العمل به؟ قال: أي: ليُحلوا
حلاله، ويُحرّموا حرامه، ويأتروا
بأوامره، وينتهوا عن نواهيه.
ويقضوا عند عجائبه..
(اقتضاء العلم العمل للبغدادى).

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على
سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإذا ألقى أحدنا سمعه أو صوب
نظره إلى أخلاق الناس اليوم في التعامل مع
الآخرين على اختلاف أقدارهم وحقوقهم؛
ساء كثير من أخلاقهم، وأدهشه معظم
تصرفاتهم، دُع عنك ما يقع من كثير من
النساء اليوم عند مشيهن كاشفات عن
عوراتهن ومفاتهن، وعند حديثهن بخضوع
وتكسر، ولا أراك إلا مستفهماً مستنكراً؛ أين
ذهب الحياء؟ وهل فقد عند هؤلاء؟ أسأل
الله أن يغفر لنا وللمسلمين والمسلمات وأن
يهدينا سواء السبيل.

إن الحياء-أيها اللبيب- حين يوجد في قلب
صاحبه يبعثه على اجتناب القبيح ويمنعه
من التقصير في حق صاحب الحق.

ولا عجب أن وردت الأحاديث النبوية الثابتة
الشريفة في بيان فضله وعظيم أمره، وبيان
حقيقته.

وفي هذه المقالة طرف يسير من فقه الحياء
وبيان أهميته، لا سيما عند النساء؛ لعل
ذلك يكون دافعاً لنا لتتخلق بهذا الخلق
الرفيع (الحياء) في حضرنا وسفرنا وذهابنا
وإيابنا، وفي بيوتنا ومع الناس في معاملتنا
وسلوحياتنا في كل مكان وزمان.

اعلم أخي الكريم-أرشدك الله لطاعته- أن
صفة الحياء محمودة من كل وجه؛ ولذا
فقد تتابعت رسالات الأنبياء على ذكرها،
والوصية بها، ويدللك على هذا حديث أبي
مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله
عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ: إِذَا لَمْ
تَسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». (صحيح البخاري؛

الحياء خلق جميل وفي النساء أجمل

أ. د محمد حامد

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وطبم القرآن بجامعة الأزهر

٣٤٨٤). وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: أي: مما اتفق عليه الأنبياء: أي: إنه مما ندب إليه الأنبياء ولم يُنسخ فيما نسخ من شرائعهم: لأنه أمرٌ أُطبقت عليه العقول» (فتح الباري (٥٢٣/٦)).

وقد قال نبينا صلوات الله وسلامه عليه: «الحياء لا يأتي إلا بخير» (صحيح البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧)). وفي رواية لمسلم «الحياء خير كله»، أوقال: «الحياء كله خير».

وإذا كان الحياء في الرجال حسناً جميلاً، فإنه في النساء أحسن وأجمل.

وقد وصف الله المرأة في قصة كليم الله موسى عليه السلام بقوله جل ذكره: **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** (سورة القصص: ٢٥).

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: «تمشي على استحياء» أي: ليست بسلفع من النساء خراجة ولأجاة، واضعة ثوبها على وجهها. والمراد أنها محتشمة لا تكثر من الخروج من بيتها، وإنما تخرج لمصلحة وحاجة مع مراعاة الستر والصون والعفة.

وبعض المفسرين جعل الحياء من صفة قولها وحديثها أيضاً، وقد نهى الله أمهات المؤمنين عن الخضوع بالقول: فقال عز وجل: **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا** (سورة الأحزاب: ٣٢).

قال القرطبي في تفسيره (١٧٧/١٤): «أمرهن الله أن يكون قولهن جزلاً وكلامهن فصلاً، ولا يكون

على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكاملة الرجال بترخيم الصوت ولينه، مثل كلام المريبات والمومسات. فنهاهن عن مثل هذا». وقد جاء في وصف نبينا صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها» (صحيح البخاري (٣٥٦٢)، وصحيح مسلم (٢٣٢٠)).

والعذراء البكر، وخدرها: سترها، والتشبيه بالعذراء لكونها أكثر حياءً من غيرها، والتقييد بقوله (في خدرها) مبالغة لأن العذراء يشدد حياؤها ويعظم في الخلوة أكثر من خارجها؛ لأنها مظنة وقوع المعاشرة والمخالطة.

إننا بحاجة ماسة إلى الحياء في أقوالنا وأفعالنا وتصرفاتنا ومنبع الحياء وأساسه: الحياء من الله عز وجل. وتعظيم أمره ونهيه، والوقوف عند حدوده.

وإذا سألت: وما الباعث للعبد على الحياء من الله سبحانه وتعالى؟

فأقول: من أعظم البواعث على الحياء وتقويته في قلبك: استحضارك ويقينك بقرب الله منك. وقد قيل: «خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربيه منك».

ثم عليك بعد هذا أن تلتفت إلى أمرين مهمين يوقضان الحياء فيك:

الأول منهما: استحضار نعم الله عليك وإحسانه إليك

فكم لله علينا من نعمة ظاهرة وباطنة في أحوالك كلها! قال تعالى: **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** (سورة النحل: ٥٣).

والثاني: معرفتك بتقصيرك وتضيقك في جنب الله عز وجل.

إن استبصار العبد بتقصيره وذنبه وظلمه لنفسه مع استحضاره لنعم الله عليك يجعله في حياء من الله أن يجترئ على محارمه، أو أن يعصي أمره، أو يصِر على ذنبه.

وانك تلحظ هذا جيداً في هذا الذكر العظيم الذي سماه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بسيد الاستغفار.

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال: «ومن قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة» (صحيح البخاري ٦٣٠٦).

والشاهد في الحديث قوله: (أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي) أي: أعترف لك بالنعمة وأعترف لك بالتقصير.

ويتولد الحياء عند رؤية التقصير والآلاء.

يا حسرة العاصين يوم معادهم

وَلَوْ أَنَّهُمْ سِيقُوا إِلَى الْجَنَّاتِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْحَيَاءُ مِنَ الَّذِي

سَتَرَ الذُّنُوبَ لَأَكْثَرُوا الْحَسَرَاتِ

وهذا الحياء شعبة من شعب الإيمان يدفع العبد إلى أن يتعامل مع الناس بما يليق فلا يقصر في حق صاحب الحق، ولا يظلم ولا يبغي، بل لربما تجاوز عن بعض حقوقه حياءً واغضاءً واکراماً

لينال بذلك الأجر والثواب من الكريم الوهاب. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» (صحيح البخاري ٩٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار، وهو يعط أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه: فإن الحياء من الإيمان» (صحيح البخاري ٢٤)، وصحيح مسلم (٣٦).

ومعنى: «يعط أخاه» أي: يعاتبه فيه؛ ولذا جاء في رواية للبخاري (٦١١٨): «يقول: إنك لتستحيي، حتى كأنه يقول: قد أضربك».

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعاتب وقال: «دعه» أتركه على فعل الحياء وكف عن نهيه؛ وذلك لأنه إذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء حق نفسه جر له ذلك تحصيل أجر ذلك الحق لا سيما إذا كان المتروك له مستحقاً (فتح الباري ٧٤/١). ولا يعني ذلك أن من طالب بحقه واستوفاه ليس بحبي، وإنما المراد من وجد فيه ذلك الخلق السني فإنه لا يلام؛ فإنه على خير. وقد دفعه إلى ذلك حياؤه وإيمانه.

واني ذاكر لك أيها القارئ الكريم بعض التنبيهات والفوائد المهمة في موضوع الحياء وفقهه:

أولاً: الحياء لا ينبغي أن يحمل صاحبه على ترك النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأفعال الخير والبر.

ومن أخل بهذه الفضائل فإن فعله في الحقيقة ليس حياءً، وإن شابهه في الصورة بل هو كما قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٥/٢): «عجز وخور ومهانة، وإنما تسميته حياءً من

إطلاق بعض أهل العرف أطلقوه مجازاً لمشابهته
الحياء».

ثانياً: الحياء لا ينبغي أن يحمل صاحبه على
ترك سؤال أهل العلم فيما يحتاج إليه من أمر
دينه وصلاح أمره؛ فإن العلم يضيع بسبب ذلك.
قال مجاهد رحمه الله: «لا يتعلم العلم مستحي
ولا مستكبر»، وقالت عائشة رضي الله عنها:
«نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن
يتفقن في الدين».

والمطلوب أن يسأل المرء عما يحتاج إليه بأدب،
وقد سألت المرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن طهارتها وغسلها من الحيض، وكذا سئل عن
غسل المرأة بل واحتلامها.

عن أم سلمة، قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن الله
لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا
احتلمت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا
رأت الماء»؛ فغطت أم سلمة، تعني وجهها، وقالت:
يا رسول الله أو تحتلم المرأة؟ قال: «نعم، تربت
يمينك، فبم يشبهها ولدها» (صحيح البخاري
١٣٠)، (صحيح مسلم ٣١٣).

ثالثاً: الحياء الحقيقي يحمل صاحبه على لزوم
الأوامر واجتناب النواهي وحفظ الحدود.
ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله تعالى.

رابعاً: حياء المرأة يزينها ويعلي قدرها فما
أعز تلك الفتاة التي تصون نفسها عن أن تكون
عُرْضة للعابثين بنظرة أو كلمة، ولها في تلك المرأة
المبشرة بالجنة القدوة الحسنة.

عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس:
ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال:
هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله

لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت
دعوت الله أن يعافيك»؛ فقالت: أصبر، فقالت:
إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا
لها (صحيح البخاري ٥٦٥٢)، (صحيح مسلم
٢٥٧٦).

فلتأمل نساؤنا وبناتنا كيف أن المرأة تتحمل
الصرع، ولكنها لا تتحمل التكشف مع أنه لن يكون
عن قصد منها أو اختيار وإنما لمرض واضطرار.

فيا من عافاك الله وجعلك وصحح جسمك؛
اتقي الله واستحي منه سبحانه، وصوني نفسك
حفظك الله ورعاك.

ودونك هذا الموقف الجميل من أم المؤمنين عائشة
رضي الله عنها وهو يجسد لنا الحياء في أبهى
صورة، وأجمل منظر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أدخل
بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم،
واني واطئ ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما
دُفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة
علي ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه»
(أخرجه الحاكم في مستدركه ٤٤٠٢) وقال:
«هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه».

وصدق من قال:

إن الفتاة حياؤها ميزان

فيه الأنوثة تزدهى وتزآن

أخت النقاء هذا الحياء تمسكي

فيه العفيفة في الحياة تصان

كوني كجوهرة يشع نقاؤها

يُخزى بنور عفافها الشيطان

نسأل الله سبحانه أن يحفظ نساءنا ويرزقهن
الحياء والعفة، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوالنا
ويحسن أخلاقنا ويهدينا صراطه المستقيم.

معنى تفريج الكرب

-الكَرْبُ: هُوَ شِدَّةُ الْحَزَنِ وَالْغَمِّ الَّذِي يَأْخُذُ
بِالنَّفْسِ.

وتفريج الكرب: معناه: رفع الضر الذي يصيب
الإنسان ويأخذ بنفسه فيغمه ويحزنه. (لسان
العرب. لابن منظور ١/٧١١)

وعد الله بتفريج كربات المؤمنين

لقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بكشف
كرباتهم في كثير من آيات القرآن الكريم. وسوف
نذكر بعضها منها:

(١) قال الله سبحانه وتعالى: (فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ
يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح: ٥: ٦). قال
الإمام القرطبي رحمه الله: إن مع الضيق والشدة
يسرا، أي سعة وغنى. ثم كرر فقال: «إن مع العسر
يسرا»، فقال قوم: هذا التكرير تأكيد للكلام.
(تفسير القرطبي، ٢٠/١٠٧).

(٢) قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
(٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: ٢، ٣).

(٣) قال سبحانه: (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)
(الطلاق: ٧): قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذا
وعد منه تعالى، ووعد حقي، لا يخلفه. (تفسير
ابن كثير، ٨/١٥٤).

نبينا صلى الله عليه وسلم

يحثنا على تفريج كربات الناس

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمُسْلِمُ
أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلَمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي
حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ
مُسْلِمٍ كَرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرَائِبِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
(البخاري: ٢٤٤٢، ومسلم: ٢٥٨٠).

- قوله: (وَلَا يُسْلَمُهُ) أَي لَا يَحْذُلُهُ، وَلَا يَتْرُكُهُ
مَعَ مَنْ يُؤْذِيهِ، وَلَا فِيمَا يُؤْذِيهِ، بَلْ يَنْصُرُهُ وَيُدْفَعُ
عَنْهُ.

- قوله: (كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ) أَي: سَعَى فِي قَضَاءِ
حَاجَةِ أَخِيهِ. قوله: (كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ) أَي:
أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَسَهَّلَ لَهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ.

قوله: (وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً): أَي غَمَّةً،
وَالْكَرْبُ: هُوَ الْغَمُّ الَّذِي يَأْخُذُ النَّفْسَ، وَكَرْبَاتٍ
جَمْعُ كَرْبَةٍ. (فتح الباري، لابن حجر ٥/٩٧).

فضائل تفريج كربات الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

وبعد: فإن هذه الحياة الدنيا دار ابتلاء
واختبار، ويتعرض فيها المؤمن إلى مواقف
شديدة تجلب له الكربات والأحزان، فيحتاج
إلى عون الله أولاً، ثم إلى مساعدة الناس
له. وتفريج كربات الناس له فضائل كثيرة
في الدنيا ويوم القيامة، فأقول وبالله تعالى
التوفيق:

إعداد: الشيخ / صلاح نجيب الدق

فرع بلبيس



قال الإمام النووي رحمه الله: في هذا الحديث فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته، ويدخل في كشف الكرب وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته. (مسلم بشرح النووي ١٦/١٣٥).

(٢) عن أبي موسى، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. وشبك بين أصابعه. (البخاري: ٢٤٤٦، ومسلم: ٢٥٨٥).

- قوله: (كالبنيان) أي: البيت المبنى.
- قوله: (يشد بعضه بعضاً) أي: بعض البنيان يقوي بعضه.

- قال الإمام علي الهروي رحمه الله: المؤمن لا يتقوى في أمر دينه أو دنياه إلا بمعونة أخيه، كما أن بعض البنا يقوي بعضه. (مرقاة المفاتيح، علي الهروي، ج ٧، ص ٣١٠٢).

(٣) وعن أبي اليسر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله في ظله. (مسلم: ٣٠٠٦).
- قوله: (من أنظر معسراً) أي: أمهل مديوناً فقيراً.

- قوله: (وضع عنه) أي: قليلاً أو كثيراً من الدين.
- قوله: (أظله الله في ظله) أي: أوقفه الله تعالى في ظل عرشه. (مرقاة المفاتيح، علي الهروي، ج ٥، ص ١٩٥٤).

(٤) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني. (البخاري: ٥٦٤٩).

(٥) عن عبد الله بن أبي قتادة، أن أبا قتادة، طلب غريماً له، فتواري عنه ثم وجده، فقال: إني معسر، فقال: الله؟ قال: الله؟ قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: من سره أن ينجي الله من كرب يوم القيامة، فلينبض عن معسر، أو يضع عنه. (مسلم: ١٥٦٣).

- قوله: (كرب) جمع الكربه وهي المحنة الشديدة والمشقة الأكيدة. وقوله: (فلينبض)، فليؤخر مطالبته للدين إلى مدة يجد المعسر فيها مالا.
- وقوله: (أو يضع) أي: يتنازل للمعسر عن الدين

كله أو بعضه. (مرقاة المفاتيح، علي الهروي، ج ٥، ص ١٩٥٤).

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في تفريج كربات الناس

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الأسوة، والقدوة الحسنة لكل مسلم يريد أن يصل إلى كمال الأخلاق.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قالت خديجة (رضي الله عنها) للنبي صلى الله عليه وسلم: والله ما يحزبك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. (البخاري: ٣، ومسلم: ١٦٠).

- وعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، أن أباة توفيه وترك عليه ثلاثين وسقا (نوع من الأوزان) لرجل من اليهود، فاستنظره جابر (طلب منه التأخير)، فأبى (رفض)، أن ينظره (يؤخره)، فكلّم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له، فأبى، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل، فمشى فيها، ثم قال لجابر: جد له، فأوف له الذي له، فجده بعدما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوفاه ثلاثين وسقا، وفضلت له سبعة عشر وسقا. (البخاري: ٢٣٩٦).

ثمرات تفريج كربات الناس

نستطيع أن نوجز الثمرات الطيبة المباركة لتفريج كربات الناس في الأمور التالية:

(١) تفريج الكربات طريق الحسنات

حننا الله سبحانه وتعالى على السعي لتفريج كربات الناس، لأن ذلك من وسائل التقرب لله سبحانه وتعالى والحصول على الحسنات؛ قال الله تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عبد الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) (المزمل: ٢٠).

- قال الطبري رحمه الله: ما تقدموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجود الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو

صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم، هو خيرا لكم مما قد متهم في الدنيا، وأعظم منه ثوابا. (تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٣٩٨).

(٢) الله تعالى يحب الذين يفرجون الكريات عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس. (صحيح الجامع، للألباني: ١٧٦).

(٣) أفضل المؤمنين الذين يفرجون الكريات عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير الناس أنفعهم للناس. (صحيح الجامع، للألباني: ٦٦٦٢).

وسائل تفريج الكريات

نستطيع أن نوجز وسائل تفريج الكريات في الأمور التالية:

(١) تقوى الله في السر والعلانية (٢) المحافظة على إقامة الصلاة (٣) التوبة والاستغفار (٤) التوكل على الله تعالى. (٥) الإكثار من طاعة الله في الرخاء (٦) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٧) الدعاء.

أدعية تفريج الكريات

سوف نذكر بعض أدعية نبينا صلى الله عليه وسلم التي تساعد في تفريج كريات المؤمن وتقضي حوائجه، بإذن الله تعالى.

(١) لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض، ورب العرش الكريم. (البخاري ٦٣٤٦، ومسلم ٢٧٣٠).

(٢) اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجنون والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال. (البخاري: ٦٣٦٩).

(٣) اللهم إني عبدك، وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن

تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله عز وجل همه، وأبدله مكان حزنه فرحا، قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن. (صحيح الكلم الطيب، للألباني ص ٤٩).

(٤) اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت. (صحيح أبي داود، للألباني: ٤٢٤٦).

(٥) يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. (صحيح الترمذي، للألباني: ٢٧٩٦).

صور تفريج كريات الناس

(١) قال شعبة بن الحجاج رحمه الله: لما توفي الزبير بن العوام، رضي الله عنه، لقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير، فقال: كم ترك أخي من الدين؟ قال: ألف ألف. قال: علي خمس مائة ألف. (سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج ٣، ص ٥٠).

(٢) خرج عبد الله بن المبارك رحمه الله مرة إلى الحج، فاجتاز ببعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على مزبلة، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها، فأخذت ذلك الطائر الميت، فكشفت عن أمرها وفحصت حتى سألها، فقالت: أنا وأختي هاهنا، ليس لنا شيء، وقد حلت لنا الميتة، وكان أبونا له مال عظيم، فظلم وأخذ ماله وقتل، فأمر عبد الله بن المبارك برد الأحمال، وقال لوكيله، كم معك من النقطة؟ فقال: ألف دينار. فقال: عد منها عشرين دينارا تكفيانا إلى مرو، وأعطها الباقي، فهذا أفضل من حجبنا في هذا العام، ثم رجع. (البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٩، ص ١٨٤).

(٣) بلغ عبد الله بن المقفع رحمه الله: أن جارا له يبيع داره في دين ركة، وكان يجلس في ظل دار هذا الجار، فقال: ما قمت إذا بحرمة ظل داره إن باعها معدما (محتاجا) فدفع إليه ثمن الدار، وقال: لا تبغها. (أحياء علوم الدين، للغزالي ج ٢، ص ٣٣١).

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رعاية المسنين من منظور إسلامي

إعداد: د. محمد محمود العطار

أستاذ مساعد -
جامعة الباحة سابقاً

في مرضهم إلى رعاية طبية أكثر، قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» (الروم: ٥٤).

والمسنّ لغة: الرجل الكبير، فيقال أسنّ الرجل: كبر وكبرت سنّه، يسن إنساناً فهو مسنّ. وفي تعريف آخر للمسن: بأنها حالة طبيعية يصحب فيها الانحدار في القدرات الوظيفية والعقلية والبدنية ووضوحاً يمكن قياسه وله آثاره على العمليات التوافقية، ويرتبط هذا اللفظ لدى الباحثين في علم الاجتماع بسنّ معينة، وهو سنّ الستين؛ فيقال المسن: هو من تجاوز عمره الستين. وهذه المرحلة نسبية تتفاوت من فرد لآخر.

خصائص مرحلة الشيخوخة

تميز الشيخوخة بمجموعة من الخصائص الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية. ومن الخصائص الجسمية: الضعف العام ونقص القوة العضلية، وتساقط الشعر، وانحناء الظهر وترهل الجلد وارتعاش الأطراف وبطء الأداء الحركي، وضعف الطاقة الجسمية بوجه عام وضعف الحواس وخاصة السمع والبصر، كذلك الضعف في عضلة القلب وضيق الشرايين وارتفاع ضغط الدم.

ومن الخصائص العقلية: نجد أن الذاكرة تقل حدتها وتضعف، ويضعف الانتباه، ويلاحظ الجمود العقلي والتشبث بالرأي، كما يلاحظ صعوبة تعلم الجديد.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فتتقف مسألة رعاية المسنين ضمن الموضوعات المهمة التي يجب أن تسترعي اهتمام المسؤولين وانتباههم؛ حيث أصبحت قضية المسنين اليوم من أهم قضايا المجتمعات العربية، وترتبط هذه الأهمية بتغير العوامل الحياتية المختلفة الاجتماعية، والاقتصادية، والصحية.. وغيرها؛ حيث إن كثيراً من التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والصحية تؤثر على المسنين؛ حيث بدأت المجتمعات الحديثة تنظر إلى المسنين على أساس تمكينهم من أن يصبحوا أعضاء نافعين في بيئاتهم، سعداء في مجتمعاتهم منتجين ما استطاعوا الإنتاج.

وتعتبر مرحلة الشيخوخة من أهم المراحل العمرية التي يجب أن تحظى باهتمام وذلك نظراً لما يصاحبها من تغيرات تؤثر على المسنّ في جميع الجوانب الصحية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فإحدى هذه الفئة يجعلها تشعر بأهميتها لمن حولها، ويعطيها هذا الشعور القوة التي تجعلها تتمسك بالحياة وتشعر بالراحة في السنوات الأخيرة من عمرها.

مفهوم المسن

الشيخوخة هي المرحلة العمرية التي تبدأ فيها الوظائف العقلية والحسية في التدهور بصورة أكثر وضوحاً مما كانت عليه في الفترات السابقة من العمر، ويصاب كبار السن بالأمراض، ويحتاجون



بهم. واحساساً منهم بالوفاء والتراحم والتعاطف بهم، واعتباراً أيضاً لقيمة وجود كبار السن في الأسر كأساس لمناخ نفسي وجداني ايجابي وتدريب لأعضاء الأسرة أبناء وأحفاداً على السمو والوجداني وترقية المشاعر الإنسانية النبيلة. من خلال تفاعل أعضاء الأسرة، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا" (رواد الترمذي، وأحمد في مسنده). كما يؤكد الاسلام على انتقاء الألفاظ والكلمات التي يخاطب بها المسن. وحرم الاسلام كل أنواع العنف والإساءة إليه بكافة أنواعها واستبدالها بكل أنواع اللين والعطف الذي يميز المجتمع المسلم المترابط.

خاتمة

إن المسنين هم أنفسهم طاقة بناءة يمكن استغلالها والإفادة منها، والا فإن الأمور تنعكس ويصبحون عوامل هدم بدلاً من أن يكونوا عوامل بناء، فمن المعروف أن المسنين إذا لم يشغلهم عمل يصرفون فيه جهدهم أو يقضون فيه وقت فراغهم، قد يصبحون عبئاً شديداً على من حولهم، حتى ولو كانوا أقوياء أشداء من الناحية الصحية، ذلك أنهم قد يصبحون شديدي العند والتسلط، كثيري النقد، يأمرّون وينهون لمجرد إشباع رغبتهم في الأمر والنهي وهم في ذلك معذرون.

وأخيراً وليس آخراً، نوصي بمجموعة من التوصيات: منها: الالتزام والاهتمام المستمر من أفراد الأسرة لرعاية المسنين والاهتمام بنظافتهم الشخصية والصحية، وتوفير العلاجات المناسبة لهم، وتقديم فرص وظيفية مناسبة للمسنين القادرين على العمل من خلال مؤسسات المجتمع، وعمل مشروعات صغيرة بقروض ميسرة تقدم للمسنين ليتم ربطهم بالمجتمع، وضرورة تقديم الوعي الصحي للمسن، وتوفير التأمين الصحي لكل مسن؛ حتى نكفل لهم رعاية صحية كريمة، والعمل على إنشاء أندية للمسنين بهدف ربط المسن بالمجتمع من خلال المشاركات الاجتماعية.

وعلى الأسرة توجيه كبار السن إلى الاكثار من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، والحرص على لزوم المساجد، وصلاة الجماعة، وغير ذلك مما ينفعهم في دينهم.

والحمد لله رب العالمين.

ومن الخصائص الاجتماعية: تظل علاقة المسنين بأولادهم على النمط الذي كان سائداً بينهم وهم في مرحلة الرشد، سوية كانت أو مضطربة، ويقل التصادم مع الأولاد، إلا أنه قد يزداد مع أزواج الأولاد، وتزداد علاقة المسن بالحفدة حيث يهرعون إليه في الأزمات والمشكلات، وهكذا يلتقي جيل الأجداد وجيل الحفدة، كما ترتبط مرحلة الشيخوخة بالتقاعد وكثرة وقت الفراغ، وزيادة تعصب المسنين لأرائهم ولماضيهم الذي يمثل بالنسبة لهم ذكرى القوة والشباب والمكانة الاجتماعية وحيوية الكفاح وإيجابية العمل.

ومن الخصائص الانفعالية: الحساسية النفسية وشدة التأثر الانفعالي، والحساسية الزائدة، والعناد والشك، وعدم الثقة في الآخرين، بالإضافة إلى بروز القلق والاكتئاب والملل كمظهر جديد في حياة المسن.

رعاية المسنين في الإسلام

لقد أمرنا ديننا الحنيف أن نبر والدينا ونرعاهما، وأن نحفظ كرامتهما وأن نهتم بهما، قال تعالى: **«وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبِّكُمْ أََعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا»** (الإسراء: ٢٣-٢٥).

إن رعاية المسنين في الإسلام إنما تستهدف فتح أبواب المشاركة الإيجابية للمسنين في الحياة العامة ما داموا قادرين على ذلك، أما إذا عجزوا عن ذلك، فمن الطبيعي أن تقوم الأسرة برعايتهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أكرم شاب شيخاً لسنه: إلا قبض الله له من يكرمه عند سنه" (أخرجه الترمذي)، وإن عجزت الأسرة عن تقديم الرعاية للمسنين: قامت الدولة من خلال مؤسساتها برعايتهم.

إن المكان الأنسب والبيئة الأفضل لرعاية المسنين يتمثلان في الأسرة اعتباراً لقيمة وجود كبار السن في الأسرة سواء بالنسبة للمسنين أنفسهم أو بالنسبة لأعضاء أسرهم، وكذلك لما ينطوي عليه هذا التوجه من معان مستمدة من تراثنا الحضاري والروحي من الإحسان بالوالدين والبر

الخطبة: ضوابط ومخاطر

د. أحمد زكي

نائب الرئيس العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فلما أسس الإسلام نظام الزواج الشرعي لحفظ النسل والعرض، واعتبر النكاح أمراً خطيراً وميثاقاً غليظاً؛ فقد شرع له مقدمات تيسر أمره وإتمامه، فشرع له الخطبة قبل الارتباط بعقد الزوجية ليعرف كل من الزوجين صاحبه، وأخلاقه ودينه، ويكون الإقدام على الزواج على هدى وبصيرة. وحتى يكون أدعى لدوام العشرة بينهما.

وروحى؟ هل يتقبل كل منهما الآخر؟ هذه الأسئلة تجيب عليها فترة الخطبة. ثانياً: اتخاذ القرار عن بصيرة؛ فالزواج عقد عظيم وميثاق غليظ. كما سماه الله في كتابه: «وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غليظاً» (النساء: ٢١)؛ فلا يليق أن يبنى هذا الميثاق على نظرة عابرة أو معلومات سطحية. فالخطبة تمنح كلا من الطرفين وأهلها فرصة للتفكير والتروي والسؤال والبحث. ليكون القرار مبنياً على قناعة ورضا، لا على عاطفة متسرعة قد تزول. ثالثاً: تهيئة الأسرتين؛ فالزواج ليس علاقة بين فردين فقط، بل هو رباط يجمع بين

(رواد البخاري). ويستحب استشارة أهل الخبرة والمشورة: وكذلك استشارة جيران أهل الفتاة والمتعاملين معهم؛ لمعرفة أخلاقهم، ومدى التزامهم بالأخلاق الإسلامية وكذا السؤال عن الخاطب وأخلاقه ودينه ومعاملاته. ويمكننا إيجاز مقاصد تشريع الخطبة في النقاط التالية: أولاً: التعارف المبدئي المشروع؛ فالهدف الأسمى للخطبة هو أن يتعرف كل من الرجل والمرأة على شريك حياته المحتمل، ويهدف إلى معرفة الطباع والأفكار، ومستوى التدين، والأهداف المستقبلية، وكل ما يساعد على اتخاذ قرار سليم. هل هناك توافق فكري

والخطبة مشروعة لمن أراد الزواج، قال تعالى: «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم» (سورة البقرة: ٢٣٥). ويستحب قبل الشروع في الخطبة الاستشارة والاستشارة، فالاستشارة تشترط للمسلم في أموره كلها، سواء كانت صغيرة، أم كبيرة، وكذلك في الخطبة، يطلب تقدير الخير والبر من الله - سبحانه -؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستشارة في الأمور كلها، كما يعلمهم السورة من القرآن).

أسرتين. وفترة الخطبة تتيح الفرصة لأسرة الرجل وأسرة المرأة للتعارف والتألف؛ ما يمهّد الطريق لحياة زوجية مستقرة مدعومة من الأهل. وهذا له أثر كبير في تجاوز أي عقبات مستقبلية.

النظر إلى المخطوبة:

نadb الشرع للخطاب أن ينظر إلى المرأة التي يرغب في زواجها. فله أن ينظر إلى وجهها وكفيتها، وذلك لأن الوجه يعرف منه جمالها، والكفين يعرف منهما خصوبة البدن.

وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى ذلك، كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما). رواد النسائي والترمذي وحسنه. ومعنى يؤدم بينكما: أي يجمع بينكما. وتحصل الألفة والمحبة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنظرت إليها؟ قال: لا، قال: "فأذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئا". رواد مسلم ومعنى (فإن في أعين الأنصار شيئا): قيل صغر أو

زرقة.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل! قال جابر: فخطبت جارية من بني سلمة، فكنت أتحيا لها تحت الكرب حتى رأيت منها بعض ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها. (رواد أبو داود). والكرب: هو أصول وسعف النخل الغليظ اليابس الملتصق بأصل النخلة.

قال أهل العلم: فيه دليل على أنه ينظر إليها على غفلتها وإن لم تأذن له.

ويُسَنُّ للمرأة أيضا أن تنظر إذا أرادت تزويجه، فإنها يعجبها منه ما يعجبه منها، وتستوصف كما مريء الرجل.

وهنا يجب التنبيه على أمور هامة تتعلق بأمر المخطوبة.

وهي:

- أن يعلم الخطاب أنه أجنبي عن المخطوبة، وليس له أي حقوق سوى أنه لا يجوز ألا يخطب أحد على خطبته، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه» (رواد مسلم).

- يحرم الخلوة بالمخطوبة؛ لأنها محرمة على الخطاب حتى يعقد عليها، ولم يرد الشرع بغير النظر. فبقيت على التحريم. ولأنه لا يؤمن مع الخلوة الواقعة ما نهى الله

عنه، فإذا وجد محرم جازت الخلوة؛ لامتناع وقوع المعصية مع حضوره.

فعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان). (رواد أحمد).

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما). (رواد الترمذي).

- يجب على المخطوبة أن تلتزم باللباس الشرعي التام؛ لأن الخطبة ليست زواجا. بل هي مجرد وعد بالزواج، قد يتم وقد لا يتم. والخطبة لا تحل أي شيء للخطابين إلا التكلم مع بعضهما في أمور الزواج وترتيبه بوجود المحرم فلا يجوز للخطابين أن يدور بينهما من كلام إلا قولاً معروفاً حسناً طيباً؛ قال تعالى: «ولكن لا تواعدوهن سرّاً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً» سورة البقرة: ٢٣٥.

فالتبرج والتساهل في اللباس وظهور الفتاة أمام خطيبها بملابس غير محتشمة أو بدون حجاب كامل، لا يجوز؛ حيث إنها أجنبية عنه حتى يتم عقد الزواج (كتب الكتاب).

- التحذير من التهاون في الخلوة بين المخطوبين؛ فقد

أباح البعض لابنته أو قريبته أن تخالط خطيبها وتخلو معه دون رقابة، وتذهب معه حيث يريد من غير إشراف. وقد نتج عن ذلك أن تعرضت المرأة لضياح شرفها وفساد فعالها وإهدار كرامتها. وقد لا يتم الزواج فتكون قد أضافت إلى ذلك فوات الزواج منها.

مع التأكيد على أن الخلوة بالأجنبية غير جائز حتى ولو رغب في زواجها للأحاديث الكثيرة التي جاءت بالنهي عن ذلك؛ فمن ذلك حديث جابر عند أحمد: (لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما) (رواه أحمد)، وحديث عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والدخول على النساء). فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمى؟ قال: (الحمى: الموت) (رواه الترمذي)؛ والحمى هو قريب الزوج غير أبائه وأبنائه (مثل أخو الزوج وعمه وابن عمه). الموت: تعبير مجازي عن عظم الخطر والفتنة؛ لأن الشر منه يتوقع أكثر من غيره؛ سهولة دخوله البيت دون إنكار، مما قد يؤدي إلى هلاك الدين أو وقوع الفاحشة.

لهذه الأحاديث فإنه يجب أن يعلم أن الخلوة ليست بجائزة ولو لطالب الزواج إلا أن تكون الخلوة مع محرم للمرأة. وحيث إن المخطوبة مازالت أجنبية عن الخاطب فلا يصح ولا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن

تقام حفلة للخطوبة يدعى إليها الناس. ويجلس الخاطب بجوار مخطوبته وهي في كامل زينتها وبمسك يدها ويلبسها خاتم الخطوبة أو ما يسمى (الشبكة). ويتم التقاط الصور لهما، بل قد تنشر هذه الصور في وسائل التواصل الاجتماعي.

-الحادثة في الهاتف:
"المخطوبة أجنبية عن الخاطب، لا فرق بينها وبين من لم تكن خطيبة؛ حتى يعقد عليها. وعلى هذا؛ فلا يجوز للخاطب أن يتحدث مع المخطوبة، أو أن يتصل عليها، إلا بالقدر الذي أباحه الشرع. والذي أباحه الشرع هو: أنه إذا عزم على خطبة امرأة، فإنه ينظر إليها.. ولكن بدون أن يتحدث معها، اللهم إلا بقدر الضرورة، كما لو كان عند النظر إليها بحضور وليها يتحدث معها مثلاً بقدر الضرورة، مثل أن يقول مثلاً: هل تشتريين كذا، أو تشتريين كذا؟ وما أشبه ذلك.

أما محادثتها في الهاتف: حتى إن بعضهم ليحدثها الساعة، والساعتين، فإن هذا حرام، ولا يحل.

يقول بعض الخاطبين: إنني أحدثها من أجل أن أفهم عن حالها، وأفهمها عن حالي، فيقال: ما دمت قد أقدمت على الخطبة، فإنك لم تقدم إلا وقد عرفت الشيء الكثير من حالها، ولم تقبل هي إلا

وقد عرفت الشيء الكثير عن حالك، فلا حاجة إلى المكالمات بالهاتف، والغالب أن المكالمات بالهاتف للخطيبة، لا تخلو من شهوة، أو تمتع بشهوة، يعني شهوة جنسية، أو تمتع، يعني تلذذ بمخاطبتها، أو مكالمتها وهي لا تحل له الآن. كما تحذر من الحديث بكلمات العشق والغرام، والتوسع في المبالغة بالمشاعر وكلام الحب المثير للشهوة عبر الهاتف أو الرسائل، مما قد يدفع إلى الوقوع في المحذور.

فالأصل في الكلام بين المخطوبين عدم المنع، إلا أن له حدوداً لا بد لكليهما من الوقوف عندها، وعدم تجاوزها، مع مراعاة ضوابط الحديث بينهما وهي: أن يكون فيما يحقق مصلحة الزواج بقدر الحاجة، ودون تجاوزها، وألا تكون بينهما خلوة، وأن تلتزم المرأة بالضوابط الشرعية من الحشمة، والحياء، وغيرها من الأمور التي تحفظ للمرأة مكانتها وقدرها، وألا تقع المصافحة بينهما، وأن يتجنبنا الخضوع في القول، وأن يأمن كل منهما الوقوع في الفتنة.

نسال الله تعالى أن يزوج شباب المسلمين، وأن يؤلف بين قلوبهم، وأن يكثر نسل الموحدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدور الحسن

في وصايا الصحابة ومن تبعهم بإحسان

إطالة على وصايا

الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أ. د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

جميع المناحي القضائية والإدارية؛ وسنرى كيف مثلت (رسائله الشهيرة إلى أبي موسى الأشعري في القضاء) مرجعاً أساسياً في إرساء قواعد العدالة، وكيف شددت على التسوية بين الخصوم وعدم التفرقة بين قوي وضعيف، كما تميزت بجمعها بين صلاح الدين وإصلاح الدنيا، وبالواقعية والعملية؛ وبالنزاهة والحرص على المال العام والتحذير من استغلال المنصب أو الوقوع في شبهات الفساد والكسب غير المشروع، واتسمت بالوضوح والبعد عن التنظير المعقد.. ومن ثم قدمت حلولاً مباشرة وتوجيهات عملية يمكن للمسلم أو الحاكم أو الوالي تطبيقها في حياته اليومية. ولنبذة أولاً بالتعريف به - وإن كان غنياً عن التعريف:-

أ- نبذة مختصرة عنه:

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، ترجع أصوله

إلى الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن وآله.

وبعد؛ فقد تميزت وصايا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٢٣هـ) بخصائص فريدة جعلتها منهجاً تربوياً وإدارياً شاملاً، وصالحة لكل زمان ومكان، وشاملة لسانر شؤون الفرد والمجتمع، والحاكم والمحكوم، والقاضي والمتقاضى، والجندي والرعية، وغلب عليها وضوح العبارة، وقوة التوجيه، وربط العمل بتقوى الله ومراقبته، مع عناية ظاهرة بالعدل؛ وأداء الأمانة؛ وصيانة المال العام؛ وإعداد الرجال؛ وتحمل المسؤولية.

وتنبع هذه الأهمية من شخصيته القيادية وخبرته العميقة في إدارة شؤون الدولة والمجتمع.. فوصاياه يغلب عليها الشمولية والتكامل ولا تقتصر على الجانب الديني الفقهي فقط، بل تجمع -كما سنرى- بين شؤون الدين والدنيا، لتشمل التوجيهات العبادية، والأخلاقية، والاقتصادية، والعسكرية، والسياسية.

كما أنها تركز على العدل والمساواة في

لنسب الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يلتقي معه عند كعب بن لؤي؛ وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة. الملقب بـ(الفاروق) لأنه كان يفرق بين الحق والباطل وبه أعز الله الإسلام والمسلمين.

وهو من فقهاء الصحابة وأهل الرأي السديد، وقد وافقت آراؤه الوحي في مواطن عديدة ومشهورة، وكان أن تولى الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه، وحكم لمدة عشر سنوات شهدت توسعاً في الدولة الإسلامية، واشتهر بعدله وإنصافه وتأثيره الكبير في التاريخ الإسلامي، فهو الذي وضع التاريخ الهجري وعمل به في إدارة الدولة، والذي أصدر وثيقة (العهد العمرية) التي تؤمن حقوق أهل الكتاب.

أسلم رضي الله عنه وكان إسلامه عزاً وقوة للمسلمين؛ كما كانت هجرته نصراً للدين، شهد المشاهد مع رسول الله، ثم تولى الخلافة بعد أبي بكر وكان أول من حمل لقب (أمير المؤمنين)، وكان عالماً فقيهاً، وعادلاً رحيماً، وكان سديد القول والفعل، وقد وافقت آراؤه القرآن في عدة مرات، كما كان مثلاً في الزهد والتقشف؛ وقد شهد له بذلك طلحة بن عبيد الله أقرب الناس إليه، يقول طلحة - وبنحوه سعد بن أبي وقاص -: "ما كان عمر بن الخطاب بأولنا إسلاماً ولا أقدمنا هجرة، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة". وإنما يكمن سر ذلك في معاشته للقرآن الكريم ومصاحبته للنبي الأمين، وفي نظرته للعالم وأنها دار اختبار وابتلاء، ومن ثم فهي مزرعة للآخرة.

لقد اشتهر الفاروق عمر بالشجاعة وتحمل المسؤولية في حكمه، وفي عهده تم فتح بلاد الشام، والعراق، وفلسطين، ومصر، وفارس، مما وسع رقعة الدولة الإسلامية كثيراً.. ثم

كان أن استشهد رضي الله عنه سنة ٢٣ هـ بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسي غدراً وهو يوم المسلمين في صلاة الفجر.

ب - وصاياه:

كان للفاروق وصايا عظيمة لأبنائه ولمن حوله، وأخبر ابن القيم -كما سيأتي- بأن العلماء كانوا يتلقون وصاياه بالقبول، ويبنون على بعضها أصول الحكم والشهادة، ويوصون الأحكام والمفتين بتأملها، والتفقه فيها.. وتلك هي أبرز وصاياه

١ - وصيته لابنه في غيبة غابها:

كتب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، إلى ابنه عبد الله رضي الله عنهما في غيبة غابها: «أما بعد: إني أوصيك بتقوى الله؛ فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاد، ومن شكره زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى جلاءً بصرك، وعماد ظهرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسنة له، ولا خير لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خلق له». ذكره أحمد في الزهد (٣٧٤)، وأبو نعيم في الحلية (٥٢/١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٩٧/٢)، والذهبي في السير (٥١٤/٢).

وهذه وصية جامعة: جعل عمر رضي الله عنه فيها التقوى أساس العمل كله؛ إذ بها يستقيم القلب والعمل، ويستعين العبد بربه، ويؤزن أقواله وأفعاله بميزان الخوف والرجاء. كما أنها وصية الله للأوليين والآخرين ووصية الأنبياء لاتباعهم من الموحيين، وهي (سبب الصلاح ومنبع الفلاح والإصلاح، إذ مؤداها: أن يطاع رب العزة فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر

٢ - وصاياه لأبي موسى الأشعري في القضاء:

بما يعد قانوناً عاماً للقضاة والحكام والأمراء، لما تضمنته من ضوابط القضاء والحكم بين المتخاصمين، فقد كتب عمر الفاروق إلى أبي

وَمِنْ تَزَيُّنِ لَّهُمْ بِمَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ: شَأْنُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ اللَّهِ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخِزَائِنِ رَحْمَتِهِ؟ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ..

وعن مكانة وصية عمر هذه لأبي موسى والإشادة بها: يقول شيخ الإسلام في منهاج السنة ٦/ ٣٧: «ورسالة عمر المشهورة في القضاء إلى أبي موسى تداولها الفقهاء وبنوا عليها، واعتمدوا على ما فيها من الفقه وأصول الفقه، ويقول ابن القيم في إعلام الموقعين ١/ ٧٢: "وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه".

وهو بالإضافة إلى هذا: حجة دامغة لكل حكم أراد الحق وارتضاه، ورسالة قوية لكل قاض أحب العدل وابتغاه، لما تضمنته من أصول عظيمة في القضاء، من أهمها: المساواة بين الخصوم، وإقامة البينة، وأعمال اليمين، وجواز الصلح المنضبط بالشرع، والرجوع إلى الحق متى ظهر، واجتناب الهوى والغضب، وبذل غاية الوسع في فهم التصوص واستنباط الحكم عند عدم النص.

ولا غرو فإنها بمثابة دستور محكم يرسى معالم القضاء النزيه: البعيد عن الأهواء: والرامي إلى نشدان الحق: والساعي لنشر العدل بين المتخاصمين.. وتدعو إلى المساواة بين الناس في مجالس القضاء، حتى لا يطمع شريف في حيفه ولا يبنس ضعيف من عدله.. وإلى إرساء قاعدة ومبدأ: (البينة تكون على المدعي واليمين يكون على من ينكر) وتيك قاعدة ذهبية تضيع بغياها حقوق العباد. كما أن الوصية تكشف حقيقة أن الصلح بين المسلمين واجب شرعي إلا صلحا أحل حراما

موسى الأشعري - فيما أخرجه الدار قطني في سننه (٣/ ٤٤٨) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٣٥) والألباني في: إرواء الغليل (٢٦١٩) وغيرهم - كتب يقول: «إن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك: فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وأس - ساو - بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك - أي: في ملك معه لشرقه أو لغير ذلك مما قد يشفع للظالم عند ضعاف النفوس من القضاة - ولا يبنس ضعيف في عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا، ومن ادعى حقا غائبا أو بينة، فاضرب له أمدا ينتهي إليه، فإن جاء ببينة أعطيته بحقه، فإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية: فإن ذلك أبلغ في العذر وأجلى للعمى، ولا يمنعك من قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه رأيك، وهديت لرشدك أن تراجع الحق: فإن الحق قديم لا يبطل الحق شيء، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل.

والمسلمون عدول بعضهم على بعض في الشهادات، إلا مجلودا في حد، أو مدركا عليه شهادة الزور، أو متهما في ولاء أو قرابة: فإن الله تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان.. ثم الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ليس في كتاب أو سنة، ثم قاييس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال والأشياء ثم اعمد إلى أحبها إلى الله فيما ترى وأشبهاها بالحق.

وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس عند الخصومة والتنكر: فإن القضاء في مواطن الحق يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس،

علمه ووقفه الله بالعمل به. وفي التنزيل يقول أحكم الحاكمين: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين» (فصلت: ٣٣). والشقي من شغل بغيره، ونسي نفسه.

٤- وصيته للولاة في العدل والرعية

ومن وصايا بعض عماله، ما كتب به إلى عامله على البصرة، فقد كتب يقول: «أما بعد، فإن للناس نفرة عن سلطانهم، فأعوذ بالله أن يدركني، وإياك عمياء مجهولة، وضغائن محمولة، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران، أحدهما لله والآخر للدنيا، فأثر نصيبك من الله، فإن الدنيا تنفذ والآخر تبقى، وأخف الضائق، واجعلهم يدا يدا، ورجلا رجلا، عد مريض المسلمين، واحضر جنازهم؛ واقتح بابك، وياشر أمورهم بنفسك؛ فإنما أنت رجل منهم؛ غير أن الله جعلك أثقلهم حملا، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها؛ فأياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب؛ فلم يكن لها هم إلا السمن والماء؛ وإنما حثفها في السمن، وأعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته؛ وأشقى الناس من شقيت به رعيته، كذا في حياة الصحابة ٢/ ٣٦٨.

وفي هذه الكلمات تذكير للوالي بأن الولاية أمانة ومسؤولية وتكليف قبل أن تكون تشريفا، وأن صلاح الرعية مرتبط بصلاح من يتولى أمرها، وأن قرب الحاكم من الناس، وقيامه بحوائجهم، وابتعاده عن الترف والاستعلاء، من أسباب صلاح الرعية واستقامة الحكم.

٥- وصايا للشباب والعبد ليزهدوا ويخشونوا

لقد كان عمر رضي الله عنه مضرب المثل في

أو حرم حلالا، وأن القاضي إذا قضى بقضاء اليوم؛ ثم راجع فيه رأيه فهدي فيه لرشده، فإن ذلك لا يمنعه أن يرجع فيه إلى الحق؛ فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التماسي في الباطل.

وفيها بيان أن القرآن والسنة هما الفيصل والأساس في حسم القضايا، وأنه إذا عرض على القاضي أمر أو مسألة ليس فيها قرآن ولا سنة، فعليه أن يقيس الأمور عند ذلك ويعرف الأمثال، ثم يعمد فيما يرى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق.. وبيان أن (صحة الفهم) و(حسن القصد) هما من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما.

٣- وكتب إلى أبي موسى رضي الله عنه أيضا:

ما جاء ذكره في حياة الصحابة وأورده ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٢٦٧ عن الضحاك؛ قال: كتب عمر إلى أبي موسى: «أما بعد؛ فإن القوة في العمل؛ أن لا تؤخر عمل اليوم لغد؛ فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال؛ فلا تدرون أيها تأخذون فأضعتم، وإن خيرتم أمر الآخرة على أمر الدنيا فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الدنيا تفتنى والآخرة تبقى، وكونوا من الله على وجل؛ وتعلموا كتاب الله فإنه ينابيع العلوم وربيع القلوب».

فأين في زماننا من يستحضر هذه المعاني ويستحضر معها الوقوف بين يدي الله، وأن كل راع مسئول عن رعيته ومحاسب عنهم؟.. أين من يوقن بأن الدنيا مزرعة للآخرة وما هي إلا دار ممر لا دار مقر؟.. إن سعيد الدنيا والآخرة هو من انشغل بما كلف به، وقام بالواجب الذي عليه أولا، ثم دعا الناس لما

المقصود منها حمل الجند على القوة والجلد والاستعداد. والبعد عن الترف الذي يُضعف العزائم. مع العناية بالفرسية والرمي وما تحتاج إليه الجيوش من أسباب القوة.

فهي دعوة لمخالفة أهل الكتاب؛ وأمر بأن يستروا جميع الجسد. فيُغطى الجزء الأعلى منه بالرداء والأسفل بالإزار؛ وأن يلبسوا ما يحمي أقدامهم عند المشي؛ وأن يلزموا الرمي؛ والخشونة في العيش؛ وركوب الخيل بلا سرج تشبهاً بـ(إسماعيل عليه السلام) وبـ(معد بن عدنان) جدي العرب.

وهذه المعاني تؤيدها السنة؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (ارموا بني إسماعيل. فإن أباكم كان رامياً). وقال لسعد رضي الله عنه: (ارم سعد. فذاك أبي وأمي). وهما في الصحيحين.. على أن هذه الوصية ينبغي أن توضع في سياقها لا أن تفهم على غير مرادها؛ فهي في سياق إعداد الجند. وحفظ قوتهم واستعدادهم للدفاع. والإفادة منها ما أمكن لغير الجند من شباب الأمة. وليست دعوة إلى الغلو في الخشونة أو ترك ما أباح الله من الطيبات. وتلتقي هذه الوصايا على أصول جامعة محصلتها: تقوى الله. وإخلاص النية. والعدل بين الناس. وأداء الأمانة. ومراجعة الحق. وترك الهوى والغضب. والعناية بالريعية. والمبادرة إلى العمل. والاستعداد لأداء الواجب. وتقديم الآخرة على الدنيا.. وهي معانٍ يحتاج إليها المسلم في خاصة نفسه. ويحتاج إليها من ولي أمر من أمور المسلمين بقدر ما حمّله الله من المسؤولية.

وللحديث صلة بإذن الله.

الغيرة على دين الله. وشاهد ذلك أنه لما رأى العرب قد فتحوا بلاد فارس والروم. وهم ينشرون الإسلام ويحملون لواء الدعوة إليه. خاف عليهم أن تميل نفوسهم عن التقشف والبذاعة إلى الترف والراحة. فيتخلّفوا بأخلاق الأعاجم وعاداتهم ويلبسوا ثيابهم فيصبحوا مثلهم. فالشعوب يظهر ضعفها بتقليدها غيرها من الأمم. فتكون تبعاً لتلك الأمم بأزيائها وعاداتها ولغتها. فتذوب شخصيتها في من تقلدّهم. حتى تنمحى حضارتها تبعاً لذويان شخصيتها في بوتقة التقليد.

ومن هنا كانت صيحة عمر ومناداته لمحبيه ووصاياء لرعاياه: بأن يحافظوا على عاداتهم العربية التي نشأوا عليها في بلادهم وزكّاها الإسلام. كما كانت ينبوع القوة وعنوان النصر. ومن ثم أرسلها عمر مجموعة في بضعة أسطر يأمر فيها بما يلائم الجند من عادات العرب وأخلاق المسلمين قائلًا فيما أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٥٣) وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٢٦٨):

«أترزوا وارتدوا وانتعلوا. ألقوا الخفاف - الناعمة - وألقوا السراويلات - المزركشة والكاشفة -. وعليكم بثياب أبيكم إسماعيل. وإياكم وزِي التنعم وزِي العجم. وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب. وتمعدوا وأخشوشنوا وأخلّو لِقوا. واقطعوا الركب. وأنزوا على الخيل نَزْوا. وارتقوا الأغراض..»

وكانت هذه ضمن الوصايا الجامعة التي أرسلها أمير المؤمنين عمر إلى أمراء الأجناد. يأمرهم بها ويخاف عليهم أن تركوها أن تضعف قواهم الحسية والمعنوية أمام أعدائهم.. ومن ثم كان

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
فإن الله تعالى يقول: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْأَنْبَاءِ» (البقرة: ٢٦٩).
الحكمة هي الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع الشيء في موضعه. وقيل: إن الحكمة هي إصابة الحق بالعلم والعقل، وقيل: إن الحكمة مأخوذة من الحُكْم وفُضِّلَ القضاء الذي هو بمعنى الفصل بين الحق والباطل.

اعداد الشيخ / إبراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

تعالى: «وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا» (الأحزاب: ٣٤).

كذلك يأتي لفظ الحكمة في القرآن بمعنى الأخلاق الفاضلة التي أمر الله بها سبحانه كما في سورة الإسراء، وبعد أن عدد مجموعة من الأوامر والنواهي، قال سبحانه: «ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَىٰ فِي جَهَنَّمَ مُلُومًا مَّدْحُورًا» (الإسراء: ٣٩).

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «ضَمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ».

وقد وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرة، وهي تأتي بمعنى منها: القرآن كما في صحيح البخاري: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ» وهو كذلك مروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في البخاري ومسلم، من حديث عبد الله بن مسعود في البخاري ومسلم أيضاً: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ.. رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».

وتأتي كلمة الحكمة في القرآن أيضاً بمعنى السنة كما في قوله تعالى: «وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٣١). وقوله

وفي سورة لقمان يقول تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» (لقمان: ١٢)؛ فهذا العبد الصالح الذي اختلف المفسرون حول شخصيته. وهل هو نبي أم لا؛ خلد الله ذكره في القرآن وسجل سورة باسمه؛ لأنه كان حكيماً، ولقمان وإن كان حكيماً كما وصفه القرآن فإنه لم يصل إلى الحكمة بجهد الشخصي، وإنما آتاه الله الحكمة، وإن الإنسان لا يمكن أن يكون حكيماً إلا بالله تعالى، الذي يقول: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» (البقرة: ٢٦٩).

ولقمان شأنه شأن الحكماء في إسداء النصيحة والتوجيه لكل من لهم به صلة. فالحكيم يبدأ بنفسه أولاً ثم باقرب الناس إليه كما قال الله موجهاً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (الشعراء: ٢١٤)، وفي قصة الخليل إبراهيم عليه السلام ما يفيد ذلك: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ» (الزخرف: ٢٦).

والحكيم يبدأ بالدعوة إلى التوحيد أولاً، ويحذر من الإشراف في طاعة الله سبحانه كما فعل لقمان: «وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان: ١٣). وقد قلنا في البداية: إن الحكمة وضع الشيء في موضعه، والشرك ظلم لأنه وضع للشيء في غير موضعه، فالشرك يعطي حق الله سبحانه في العبادة والخضوع والطاعة لغير الله تعالى، ولذلك كانت دعوة التوحيد هي مفتاح دعوات الأنبياء والمرسلين: «اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (الأعراف: ٥٩) (هود: ٥٠).

والله تعالى يقول: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ» (النحل: ٣٦). ويقول سبحانه: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» (الأنبياء: ٢٥). فالتوحيد أساس الدعوة إلى الله لأن العلم كله ينبثق من التوحيد: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُتَوَاكِمٌ» (محمد: ١٩).

فلقمان عليه السلام بدأ بدعوة ولده إلى التوحيد وعدم الإشراف في عبادة الله قبل أن يوجهه إلى بر والديه، وإلى مراقبة الله سبحانه، وإلى إقامة الصلاة، وإلى كثير من الأخلاق الفاضلة، والنهي عن الكبر والتعالي؛ قبل كل ذلك قال له: «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان: ١٣). فهو يعلم ولده العقيدة الصحيحة أولاً، فإذا صحت العقيدة صحت بعد ذلك كل الأعمال.

وفي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما يتوافق مع ما قام به لقمان من دعوة ولده إلى التوحيد وعدم الإشراف، كما في حديث عبد الله بن عباس: «يَا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك لئن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده

أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

وقد ضرب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المثل البشري الكامل في الحكمة في دعوته إلى الله سبحانه، وفي السنة المباركة عشرات الأمثلة والمواقف التي تبرهن على حكمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما روى البخاري عن أبي هريرة أن أعرابياً بال في المسجد فنار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء -أو سجلاً من ماء-؛ فإنما بُعِثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين». وفي رواية: «لا تزرموه».

وكذلك موقفه صلى الله عليه وسلم من الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا كما في حديث أبي أمامة: قال: «إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ادنه، فدنأ منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتجبه لأملك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.. إلى آخر الحديث». قال: فوضع يده على صدره وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» رواد أحمد وصححه الألباني.

والحكمة مطلوبة في كل الأحوال خاصة في الدعوة إلى الله سبحانه؛ فالدعاء إلى الله هم ورثة الأنبياء والمرسلين والموقعين عن الله

رب العالمين: فوجههم إلى الحكمة في دعوتهم إلى الله قائلاً: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (النحل: ١٢٥).

وليكن للدعاة في رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة فقد دعا إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان رفيقاً في دعوته إلى ربه، وأخبرنا «أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف». رواد مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه». رواد مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: «مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ» رواد مسلم. وفي الحديث المتفق عليه قال صلى الله عليه وسلم: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا». وقد زكى الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم في علاقته بأصحابه وإخوانه فقال عنه: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (آل عمران: ١٥٩).

فالحكمة خير عظيم، وعطاء عظيم من الله لمن يشاء من عباده. فتسأله سبحانه أن يرزقنا الحكمة في الأقوال والأعمال، فهو سبحانه القائل: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» (البقرة: ٢٦٩).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



الخلع ضوابط وأحكام

بيان حكم الإكراه على الخلع ومقدار عَوَضِ الخلع

د. محمد عبد العزيز



رئيس فرع العاشر

الحكم التي لأجلها جعلت عقدة النكاح بيده. وسبق أن الله تعالى شرع للمرأة إذا هي كرهت زوجها كراهة شرعية، أو أبغضته، أو خافت ألا تؤدي إليه حقه الشرعي أن تختلع، قال الله تعالى: «وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ حَقَّتْ مِمَّ الْأَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» (البقرة: ٢٢٩).

قال المرداوي في الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٨/ ٣٨٢): «وإذا كانت المرأة مُبْغِضَةً للرجل، وتخشى ألا تقيم حدود الله في حقه فلا بأس أن تفتدي نفسها منه. فَيُبَاحُ لِلزَّوْجَةِ ذَلِكَ وَالْحَالَةَ هَذِهِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْمَذْهَبِ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَصْحَابِ، وَجُزْمُ الْحُلُوفِ بِالِاسْتِحْبَابِ».

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى، ومن تبع هديه واقتفى.

أما بعد: فإن من محاسن الإسلام تشريع الفُرقة بين الزوجين إذا استحالت بينهما العشرة، أو حل مكان المودة والسكن - وهما من المقاصد الأساسية لإقامة العلاقات الأسرية - الضيق والحرَج الغالب أو الدائم بين الزوجين.

فليس عقد الزواج في الإسلام عقداً مُؤَبِّداً لا يمكن إنهاؤه إذا انعقد، بل هو عقد قابل للإنهاء بالطلاق أو الفسخ.

فمنع الفُرقة قسرياً بين زوجين متنافرين قد يؤدي إلى مفساد عظيمة على طريقتي العقد، بل وقد تتناول المفساد إلى الأبناء.

وقد سبق في المقال الأول، أن الله تعالى قد جعل عقدة النكاح إلى الزوج، وأن هذا من الأحكام التي اختص به الرجل دون المرأة، وقد سبق فيه بعض



وأما الزوج، فالصحيح من المذهب: أنه يستحب له الإجابة إليه، وعليه الأصحاب. واختلف كلام الشيخ تقي الدين -رحمه الله- في وجوب الإجابة إليه، وألزم به بعض حكام الشام المقدسة الفضلاء..

وسبق في المقال الأول:

بيان تعريف الخلع.

بيان دليل مشروعيته.

بيان مواضع الاتفاق والاختلاف في أحكامه، وذلك على وجه الإجمال لا التفصيل.

ولا أريد في هذا المقال بيان تفاصيل ما سبق؛ فهذا مكانه كتب الفقه، لكن أريد الإشارة إلى عدد من الأمور المهمة في أحكام الخلع:

الأول: بيان حكم الإكراه على الخلع.

الثاني: ما الذي تقتضي به المرأة في الخلع؟

الثالث: ما الحكم إذا لم يرخص الزوج بمفاداة المرأة؟
الرابع: متى يحل للقاضي أو الحكمين إكراه الزوج على الخلع؟

وهل خلع القاضي أو الحكمين بدلاً عن الزوج ماضٍ؟

المسألة الأولى: بيان حكم الإكراه على الخلع

أما المسألة الأولى: بيان حكم الإكراه على الخلع، فسوف أتناول فيها مسألتين:

تعريف الإكراه، وبيان حكمه.

الأصل في الخلع.

أما تعريف الإكراه، فهو: حمل الغير على ما يكرهه بالوعيد الشديد. (التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص: ٥٩)).

وقد عرفه ابن حزم في المحلى بالمثل، قال (٢٠٣/٧ - ٢٠٤): «والإكراه: هو كل ما سُمي في اللغة إكراهاً، وعُرف بالحس أنه إكراه، كالوعيد بالقتل ممن لا يؤمن منه إنفاذ ما توعد به، والوعيد بالضرب كذلك، أو الوعيد بالسجن

كذلك، أو الوعيد بإفساد المال كذلك، أو الوعيد في مسلم غيره بقتل، أو ضرب، أو سجن، أو إفساد مال؛ لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه)، (والحديث الذي ذكره أخرجه البخاري (٢٤٤٢).

ومسلم (٦٦٣٣) (٣٢ - ٢٥٦٤)).

وقد ذكر أهل العلم ثلاثة شروط لاعتبار الفعل إكراهاً، قال ابن قدامة في المغني (٧ / ٢٩٢): ومن شرط الإكراه ثلاثة أمور:

أحدها: أن يكون من قادر بسلطان أو تغلب...

الثاني: أن يغلب على ظنه نزول الوعيد به، إن لم يُجبه إلى ما طلبه.

الثالث: أن يكون مما يستتضر به ضرراً كثيراً، كالقتل، والضرب الشديد، والقيد، والحبس الطويل.

فأما النشتم، والسب، فليس بإكراه، رواية واحدة، وكذلك أخذ المال اليسير. انتهى بتصرف.

أنواع الإكراه من حيث حكمه

ينقسم الإكراه من حيث حكمه إلى نوعين:

الأول: إكراه بحق.

الثاني: إكراه بغير حق.

أما الأول (الإكراه بحق): فهو الإكراه المشروع، أي الذي لا ظلم فيه ولا إثم، كإكراه المعسر المدين على بيع ماله بعد الحجر عليه لسداد دينه، وإكراه المولي على طلاق زوجته إذا مضت مدة الإيلاء ولم يرد الرجوع إليها.

وهذا النوع من الإكراه مشروع حتى قال أهل العلم: الإكراه بحق، لا ينال في الطوع الشرعي. (الفوائد السننية في شرح الألفية، للبرماوي (١ / ١٩٤)).

قال أبو إسحاق الشيرازي في المهذب (٤ / ٣): «وأما المكروه: فإنه يُنظر، فإن كان إكراهه بحق كالمولي إذا أكرهه الحاكم على الطلاق، وقع طلاقه؛ لأنه



قَوْلُ حُمَلٍ عَلَيْهِ بِحَقِّ.

أما الثاني (الإكراه بغير حق): فيحرم الإقدام عليه، ولا يترتب عليه أثر للتصرف؛ لحديث عائشة قالت: سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لا طلاق، ولا عتاق في غلاق» (أخرجه أبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦)) ولفظ ابن ماجه: «في إغلاق».

ومعنى الإغلاق: مشترك بين الإكراه، والجنون. (مناورات الغلط في الأدلة "مطبوع مع: مفتاح الوصول"، للتلمساني (ص ٧٣٣)).

وقد اتفق أهل العلم القائلين بأنه لا أثر للتصرف الواقع عن الإكراه بغير حق على: أن إكراه الزوجة على الاقتداء من زوجها ببذل عوض عن طلاقها غير جائز، ولا أثر له؛ لأن المرأة فيه هي الباذلة لمال العوض والمفاداة، فلا يجوز حملها على دفع مالها في الخلع بغير رضاها.

وأن إكراه الزوج على اختلاعه زوجته بغير حق لا يجوز الإقدام عليه؛ لأن عقد النكاح بيده، ولم يصدر من الزوج الضرر الذي يُفَرِّقُ به الحكمان بينهما على القول بجواز تفريق الحكمين، فلا أثر لهذا التصرف في إيقاع الفُرقة.

قال الإمام النووي في المجموع (٩ / ١٥٩): «قال أصحابنا: التصرفات القولية التي يُكره عليها بغير حق باطلة، سواء الرُدة، والبيع، والإجارة، وسائر المعاملات، والنكاح، والخلع، والطلاق، والإعتاق، وغيرها».

تنبيه:

الخلع عقد معاوضة رضائي يتم بالاتفاق بين الزوجين على العوض والفُرقة في مقابله.

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣ / ١٣٨): «الرجل إذا خالع امرأته فإنما هو على ما

يتراضيان به، ولا يُجبره السلطان على ذلك، ولا معنى لقول من قال: هذا إلى السلطان».

وأما إكراه القاضي أو الحكمين للزوج على خلع المرأة بحق إن رأيا استحالة العشرة بينهما، فسوف أتناوله في المسألة الرابعة -إن شاء الله تعالى- موجلاً.

المسألة الثانية: ما الذي تقتدي به المرأة في الخلع؟

اختلف أهل العلم في القدر الذي يحل للرجل أخذه في اقتداء المرأة لنفسها أو مخالعتها على ثلاثة أقوال مشهورة:

الأول: أنه يجوز له أن يأخذ منها ما ترضيا عليه سواء كان أكثر مما أعطها، أو يساوي ما أعطها، أو كان أقل مما أعطها، وهو مذهب الجمهور، وهو قول الحنفية، والمالكية، والشافعية، والظاهرية، وحكي عليه إجماع الصحابة.

قال السرخسي في المبسوط (١٨٣/٦): «وان كان النشوز من قبلها، فله أن يأخذ منها بالخلع مقدار ما ساق إليها من الصداق؛ لقوله تعالى: **«فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ»** (البقرة: ٢٢٩)، ولو أراد أن يأخذ منها زيادة على ما ساق إليها، فذلك مكروه في رواية الطلاق، وفي الجامع الصغير يقول: لا بأس بذلك».

وقال ابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣ / ٣٦٨): «واختلفوا في الخلع على أكثر مما أعطها؛ فذهب مالك والشافعي إلى جواز الخلع بقليل المال وكثيره، وبأكثر من الصداق وبمائها كله إذا كان ذلك من قبلها.

قال مالك: لم أزل أسمع إجازة الفدية بأكثر من الصداق؛ لقول الله عز وجل: **«فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**



هَيْمَا افْتَدَتْ بِهِ (البقرة: ٢٢٩)، ولحديث

حبيبة بنت سهل مع ثابت بن قيس.

وقال أبو إسحاق الشيرازي في التهذيب في فقه الإمام الشافعي (٥ / ٥٥١): «إذا اختلعت المرأة نفسها من زوجها على مال، إما على صداقها، أو على مال آخر من جنس الصداق، أو غير جنسه، أقل منه أو أكثر، فخالعها الزوج عليه؛ صحّ الخلع، ووقعت البينونة، وسقط الصداق عن الزوج إن كان الخلع على الصداق. وإن كان على مال آخر لزمها المال، سواء كان ذلك في حال الخصومة والشقاق، أو عند حسن الحال». وهو قول الظاهرية أيضًا، انظر المحلى، لابن حزم (٩ / ٥٢١).

أما نقل الإجماع على جواز أخذ الزيادة عن الصداق، فقد قال ابن قدامة في المغني (٧ / ٢٤٧): «قالت الربيع بنت معوذ: (اختلعت من زوجي بما دون عقاص رأسي)، فأجاز ذلك عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ومثل هذا يُشتهر، فلم يُنكر، فيكون إجماعًا». وقد استدلووا على ذلك بأدلة منها:

قوله تعالى: **«فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا هَيْمَا افْتَدَتْ بِهِ»** (البقرة: ٢٢٩)، فلم يحُدّ الله تعالى في ذلك حدًا.

وعن أبي سعيد قال: «أرادت أختي تختلع من زوجها، فأتت النبي -صلى الله عليه وسلم- مع زوجها، فذكرت له ذلك. فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ترددين عليه حديقته ويطلقك؟ قالت: نعم».

فقال لها الثانية: ترددين عليه حديقته ويطلقك؟ قالت: نعم وأزیده.

فقال لها الثالثة: فقالت: نعم. وأزیده. فخلعها،

فردت عليه حديقته وزادته.

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٩٦٤)، وقال: كذلك رواه الحسن بن عمار عن عطية، والحديث المرسل أصح.

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل بن علي بن أبي طالب، أن الربيع ابنة معوذ بن عفرأ أخبرته قالت: «كان لي زوج يقل الخير عليّ إذا حضر، ويحرمني إذا غاب، قالت: فكانت مني زلة يومًا، فقلت له: اختلع منك بكل شيء أملكه. فقال: نعم. قلت: ففعلت، فخاصم عمي معاذ بن عفرأ إلى عثمان، فأجاز الخلع. قالت: وأمره أن يأخذ عقاص رأسي فما دونه، أو قالت: دون عقاص الرأس». (أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٢٦٠٦)).

الثاني: أنه لا يجوز للزوج أخذ أكثر مما أعطاه، وهو قول عند الحنابلة. قال ابن قدامة في المغني (٧ / ٢٤٧): «وقال عطاء وطاووس، والزهري، وعمر بن شعيب: لا يأخذ أكثر مما أعطاه، وروي ذلك عن علي بن إسماعيل منقطع، واختاره أبو بكر قال: فإن فعل رد الزيادة».

واستدلوا على ذلك بأدلة منها: عن ابن عباس: «أن جميلة بنت سلول أتت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت: والله ما أعتب على ثابت في دين ولا خلق، ولكني أكره الكفر في الإسلام، لا أطيقه بغضًا. فقال لها النبي -صلى الله عليه وسلم-: أترددين عليه حديقته؟ قالت: نعم».

فأمره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يأخذ منها حديقته، ولا يزداد، (أخرجه بهذه الزيادة: "ولا يزداد" ابن ماجه (٢٠٥٦)، وقال البيهقي في السنن الكبرى (١٨٢ / ١٥): كذا رواه عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي



عروبة موصولاً، وأرسله غيره عنه.

الثالث: أنه يكره للزوج أن يأخذ منها أكثر مما أعطها، وهو مذهب الحنابلة، قال ابن قدامة في المغني (٧ / ٢٤٧): «فإذا ثبت هذا فإنه لا يُستحب له أن يأخذ أكثر مما أعطها. وبذلك قال سعيد بن المسيب، والحسن، والشعبي، والحكم، وحماد، وإسحاق، وأبو عبيد.

فإن فعل جاز مع الكراهية، ولم يكرهه أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، قال مالك: لم أزل أسمع إجازة الفداء بأكثر من الصداق».

وقد استدلوا بأدلة الفريقين وجمعوا بينهما فحملوا طلب الزيادة على الكراهية.

والمذهب الأول هو أرجح المذاهب لمن تأمل الأدلة.

بأي هذه المذاهب أخذ قانون الخلع في مصر؟

أقول -وبالله التوفيق-: أخذ قانون الخلع في مصر في الظاهر بالمذهب الثاني، فيرد على الزوج المهر ولا يجوز له المطالبة بأكثر من ذلك في الخلع القضائي.

لكن واقع الأمر يخالف هذا الاختيار، واليك تصوير واقع الحال في تلك المسألة:

تلتزم الزوجة في دعوى الخلع أمام محكمة الأسرة المصرية برد ما أخذته من مهر، كما تتنازل تنازلات مالية محددة للزوج على الوجه التالي:

(١) ترد المختلعة مقدم الصداق الثابت في عقد الزواج.

(٢) ترد المختلعة الشبكية: إن ثبت كونها جزءاً من المهر بحسب تقدير المحكمة.

(٣) تتنازل عن مؤخر الصداق المكتوب بعقد الزواج.

(٤) تبرئ الزوج من حق المطالبة بنفقة المتعة.

(٥) تتنازل عن نفقة العدة الشرعية.

لا يُسقط الخلع حقوق الزوجة غير المتعلقة بالمهر المباشر، ومنها:

(١) قائمة المنقولات: فلا تأخذ حكم المهر؛ وتحتفظ بها الزوجة.

(٢) حضانة الأطفال.

(٣) نفقات الأولاد.

(٤) حق الزوجة الحاضنة في الاستمرار في مسكن الزوجية أو بدل إيجاره لحضانة أطفالها. والملاحظ هنا أن القانون لم يُعامل قائمة المنقولات على أنها جزء من الصداق، إن لم يُكتب في القائمة أنها جزء من المهر، وعاملها على أنها حق مدني في ذمة الزوج يضمن مال الزوجة. مع أن العرف المعمول به أن يُكتب في القائمة ما قام الزوجان بتجهيزه وإحضاره كل في بند مستقل، فأسقط من حق الزوج جزءاً كبيراً من الصداق.

وكذا لم يعامل الشبكة -والتي غالباً ما تكتب في قائمة المنقولات- على أنها جزء من المهر، بل عاملها على أنها حق مدني في ذمة الزوج يضمن مال الزوجة، مع أنها تكون في يد الزوجة، بل وقد يُكتب في القائمة جزء آخر من الذهب يلتزمه الزوج في حال الطلاق والفرقة، فأسقط من حق الزوج جزءاً كبيراً من الصداق.

وعلى هذا التكييف -الذي يستند إلى العرف العام في مصر- لقائمة المنقولات، فإن الزوجة لم ترد عوض الخلع الذي اختاره القانون، وهو ألا يزيد العوض عن المهر المقدم للزوجة.

هذا ما وسعه المقام في هذا المقال. فإن كان صواباً فالحمد لله وحده، وإن كانت الأخرى فاستغفر الله، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى.

الكليات في المباح والمنوع من الطحومات

اعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب

والشيخ شريح البشير

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فمن نعم الاسلام علينا أنه علمنا فوق ما
تتعبد به: أن عرفنا ما يصلحنا في معاشنا وأمر ديننا،
بل إن المسلم قد سبق أهل زمانه وفاق أقرانه في معرفة
ما ينفع ويحجب ما يضر، كيف لا وقد قال الله تعالى: «ما
فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون» (الأنعام: ٣٨).

ومن هذا الباب فلم يُغفل الإسلام قضية الأطعمة والأشربة: فبين فيها المشروع
والممنوع، والطيب والخبيث المدفوع، ووضح لنا الطبيات وحرم علينا الخبائث، وطهر
موائدنا من الرجس والدنس، والخمر وما يدعو للرفث، فنظم لنا الدين جنس الطعام
الماكول وحذرننا من كل مطعوم خبيث أو نجس أو له ضرر مضموم. ناهيك عن تعلم آداب
الطعام، والذكر عند الجلوس والقيام، والحمد على كل نعمة أسبغها علينا رب الأنعام.
قال ابن القيم: وكان هديه صلى الله عليه وسلم وسيرته في الطعام: لا يَرَدُّ موجوداً
ولا يتكلف مفقوداً، فما قَرَّبَ إليه شيء من الطبيات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه
فيتركه من غير تحريم وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله ولا تركه، كما
ترك أكل الضَّبِّ لما لم يعتده، ولم يحرمه على الأمة، ... ولم يكن يرد
طيباً ولا يتكلفه، بل كان هديه أكل ما تيسر، فإن أعوزه صبر حتى
إنه ليربط على بطنه الحجر من الجوع، ويرى الهلال والهلال



والهلال ولا يُوقَد في بيته نار. زاد المعاد (١٤٢/١).

ولا يخلو كتاب فقهي من باب الأطعمة والأشربة، وفيها أحكام الأطعمة وسننها وأدابها ومنهياتها وأهدافها وسلبياتها، وما يضر فيها وما ينفع وما كان في أصله دواء وما يترتب على أكله من الداء.

وقد وضع العلماء كليات جامعة لتقرب مسائل الأطعمة وتجمع الفروع المتشعبة فيما أشكل على الناس كي تعم المنفعة

وها هي جملة من الكليات الجامعة لتضبط لنا ما يباح ويحرم من الأشربة والأطعمة. القاعدة الأولى: الأصل في باب الأطعمة الإباحة إلا ما ورد النص بتحريمه

فالأصل أن كل طعام حلالٌ ومباحٌ. ولا يُحكم بتحريمه إلا إذا ورد دليل شرعي صحيح يدل على خلاف الأصل مثل: تحريم الخمر ولحم الخنزير، والميتة التي لم تذك ذكاة شرعية، والدم المسفوح، وما ذبح بغير الله، إلى غير ما ورد الدليل على تحريمه.

قال الله تعالى: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» (البقرة: ٢٩): قال القرطبي: استدل من قال: «إن أصل الأشياء التي ينتفع بها الإباحة» بهذه الآية، وما كان مثلاً - كقوله: «وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه» (الجن: ١٣)، حتى يقوم الدليل على الحظر. وقال الله تعالى: «يا أيها الناس

كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، (البقرة: ١٦٨): قال ابن تيمية: والأصل فيها -أي: الأطعمة- الحِلُّ لمسلم يعمل صالحاً؛ لأن الله تعالى إنما أحل الطيبات لمن يستعين بها على طاعته لا معصيته. انظر: الفتاوى الكبرى (٥٤٧/٥).

وقال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون» (البقرة: ١٧٢): وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنِ السَّمَنِ وَالْجَبَنِ وَالْفِرَاءِ، فَقَالَ: "الْحَلَالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ" أخرجه الترمذي (١٧٢٦)، وابن ماجه (٣٣٦٧).

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣١٩٥).

قال ابن تيمية: قوله: "وما سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ"، نص في أن ما سكت عنه فلا إثم عليه فيه، وتسميته هذا عفواً كأنه والله أعلم؛ لأن التحليل هو الإذن في تناول ب خطاب خاص، والتحريم المنع من تناول كذلك، والسكوت عنه لم يؤذن ب خطاب يخصه ولم يمنع منه، فيرجع إلى الأصل. مجموع الفتاوى (٥٣٨/٢١).

وقد حكى ابن تيمية الإجماع على أن الأصل في الأشياء الإباحة، فقال: لست أعلم

خلاف أحد من العلماء السالفين: في أن ما لم يجز دليل بتحريمه فهو مطلق غير محجور، وقد نص على ذلك كثير ممن تكلم في أصول الفقه وفروعه، وأحسب بعضهم ذكر في ذلك الإجماع يقيناً أو ظناً كاليقين. انظر: مجموع الفتاوى (٥٣٨/٢١).

والعلة من إباحة الطيبات وتحريم الخبائث الإعانة على الطاعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الأصل فيها -أي: الطيبات- الحِلُّ لمسلم يعمل صالحاً؛ لأن الله تعالى إنما أحل الطيبات لمن يستعين بها على طاعته، لا معصيته؛ لقوله تعالى: «ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا» (المائدة: ٩٣) الآية. ولهذا، لا يجوز أن يُعان بالمباح على المعصية: كمن يعطي اللحم والخبز لمن يشرب عليه الخمر ويستعين به على الفواحش، ومن أكل من الطيبات ولم يشكر، فهو مذموم، قال الله تعالى: «لتسألن يومئذ عن النعيم» (التكاثر: ٨). الفتاوى الكبرى (٥٤٧/٥).

القاعدة الثانية: كل ما ورد في النصوص بقتله فيحرم أكله. فكل حيوان أمر الشارع بقتله لعلة أو لسبب ما، أو لخبثه، فلهمة محرم الأكل، وذلك مثل: الوزغ، والحية، والعقرب، والحدأة، والكلب العقور، والفارة، فعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله



عليه وسلم قال: "خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ، يَقْتُلُهُنَّ فِي الْحَرَمِ: الْغَرَابُ، وَالْجَدَاةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالضَّفَّارَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ" أخرجه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨).

قال ابن قدامة: فهذه الخمس محرمة: لأن النبي صلى الله عليه وسلم أباح قتلها في الحرم، ولا يجوز قتل صيد مأكول في الحرم؛ ولأن ما يوكل لا يحل قتله إذا قدر عليه، وإنما يُذبح ويُوكل. انظر: المغني (٤١٠/٩).

القاعدة الثالثة: كل نجس حرام أكله.

قال الله تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ» (المائدة: ٣)، وقال الله تعالى: «قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنَازِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ» (الأنعام: ١٤٥)، والرجس: النجس.

وعن أنس رضي الله عنه، قال: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا طَلْحَةَ، فَنَادَى: "إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لَحْمِ الْحُمْرِ، فَإِنَّهَا رَجَسٌ"، أَوْ "نَجَسٌ"، قَالَ: فَأَكْفَيْتِ الْقُدُورَ بِمَا فِيهَا.

قال القرطبي: والرجس: النجس. فلحومها نجسة؛ لأنها هي التي عاد عليها ضمير: (إِنَّهَا رَجَسٌ)، وهي التي أمر بإزالتها من القدور، وغسلها منها، وهذا حكم النجاسة. فظهر: أن هذه

العلة أولى من كل ما قيل فيها.

وعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْلِ الْجَلَالَةِ وَأَلْبَانِهَا".

قال ابن المنذر: ولا يجوز أكل لحوم الحمير والبغال، لأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ذَلِكَ، وَبِهِ قَالَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَا يَجُوزُ أَكْلُ لَحُومِ الْجَلَالَةِ وَلَا الْمَجْتَمَةِ. والمجتمعة: الشاة ترمى بالنبل حتى تقتل.

وفي حديث عبد الله بن عمر: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى عَنْ إِبْلِ الْجَلَالَةِ أَنْ تَوْكَلَ لِحُومِهَا وَلَا تَشْرَبَ أَلْبَانُهَا وَلَا يَحْمِلَ عَلَيْهَا».

وكان ابن عمر، يحبس الدجاجة ثلاثة أيام إذا أراد أن يأكل بيضها. الإقناع (٦١٦/٢).

قال ابن تيمية: فإن الجلالة التي تأكل النجاسة قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبنها، فإذا حبست حتى تطيب كانت حلالاً باتفاق المسلمين؛ لأنها قبل ذلك يظهر أثر النجاسة في لبنها وبيضها وعرقها، فيظهر نتن النجاسة وخبثها، فإذا زال ذلك عادت طاهرة، فإن الحكم إذا ثبت بعلة زال بزوالها.

وقال ابن القيم: أجمع المسلمون على أن الدابة إذا غُلِظت بالنجاسة ثم حبست وعلقت الطاهرات، حل لبنها

ولحمها. وقال ابن بطال: وإنما النهي عن الجلالة من جهة التقذر والتنزه لنلا يكون الشأن في علف الحيوان النجاسات. شرح صحيح البخاري (٤٣١/٥).

وقال الخطابي: الجلالة هي الإبل التي تأكل الجلة وهي العذرة؛ كره أكل لحومها وألبانها تنزهًا وتنظيفًا. وذلك أنها إذا اغتذت بها وُجِدَ نتن رائحتها في لحومها، وهذا إذا كان غالب علفها منها. فأما إذا رعت الكلأ واعتلفت الحب وكانت تنال مع ذلك شيئًا من الجلة فليست بجلالة، وإنما هي كالدجاج ونحوها من الحيوان الذي ربما نال الشيء منها وغالب غذائه وعلفه من غيرها، فلا يكره أكله.

واختلف الناس في أكل لحوم الجلالة وألبانها فكره ذلك أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد بن حنبل، وقالوا: لا تؤكل حتى تحبس أيامًا وتُعلف علفًا كغيرها، فإذا طاب لحمها فلا بأس بأكله. معالم السنن (٢٤٤/٤).

قلت: وهنا مسألة هامة قد عمت بها البلوى في حكم أكل الدجاج. فقد اتفق العلماء على حل لحم الدجاج، وثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أكله، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ دَجَاجًا»، صحيح البخاري (٥٥١٧).



قال الحافظ ابن حجر: وفيه جواز أكل الدجاج إنسيه ووحشيه وهو بالاتفاق إلا عن بعض المتعمقين على سبيل الورع إلا أن بعضهم استثنى الجلالة، وهي ما تأكل الأقدار وظاهر صنيع أبي موسى أنه لم يبال بذلك، والجلالة عبارة عن الدابة التي تأكل الجلة بكسر الجيم والتشديد وهي البعر.... وفي معنى الجلالة ما يتغذى بالنجس كالشاة ترضع من كلبة والمعتبر في جواز أكل الجلالة زوال رائحة النجاسة بعد أن تعلق بالشئ الظاهر على الصحيح. فتح الباري (٦٤٨/٩).

فدل هذا على أن الدجاج من جملة المباحات الطيبات إلا إن تغذى بنجس أو عذرة أو ما يضر البدن، والمشاهد اليوم أن الإطعام اليوم عند من انخلع من الخوف من الله قد أطعموا الحيوان ما هو أسوأ من العذرة، فقد تدخل الإنسان بصورة مباشرة أو غير مباشرة في إفساد طعامه وتلوثه بحثاً عن الربح وزيادته، فأدى هذا إلى سلسلة من الجرائم التي ترتب عليها إفساد صحة الإنسان.

فالتطور التكنولوجي في العصر الحديث كانت له انعكاساته الايجابية والسلبية على حد سواء على مناحي الحياة المختلفة، ومنها الإنتاج الزراعي والأمن

الغذائي، وسعيًا لزيادة الإنتاج قاموا بما يسمى الهندسة الوراثية أو التعديل الجيني؛ فالتعديل الجيني مسألة خطيرة جداً؛ وهذا ما دفع منظمة الأمم المتحدة بكافة منظماتها التي تعنى بالشؤون الغذائية في بيانها الأخير حول الأغذية المعدلة وراثياً إلى القول بضرورة أن تحصل دراسة معمقة وتحليل للأخطار لكل حالة بحالتها من التعديل الجيني. ومع الثورة الصناعية وقع التلوث البيئي والمخلفات الحيوانية أو النباتية، فكثر مصانع إنتاج وتصنيع المواد الغذائية أدى إلى خلق مخلفات كثيرة مختلفة في الكم والنوع، تستدعي الضرورة التخلص منها. في بريطانيا مثلاً قبل ظهور مرض جنون البقر بحثوا عن طريقة للتخلص من المخلفات الحيوانية كالعظام وبقايا اللحوم فوجدوا الحل بأن يطعموها للأبقار والمواشي؛ ولكن النتيجة كانت ظهور مرض جنون البقر.

ولكي تبقى المواد الغذائية لفترة أطول وضعوا فيها المواد المضافة؛ وهي مواد تضاف إلى الغذاء وتعمل على تغيير أي من صفاته، أو هي جميع المواد التي ليست من المكونات الطبيعية للأغذية وتضاف إليها قصداً في أي مرحلة من إنتاجها إلى استهلاكها،

وتُضاف بغرض تحسين الحفظ أو الصفات الحسية أو الطبيعية أو الحد من تعريض المستهلك للتسمم وغيره من الأضرار الصحية نتيجة الحفظ غير الجيد للغذاء... إن تلك المواد المضافة العديدة يمكن أن تمثل خطراً حقيقياً أو يمكن أن تحدث تغييرات خطيرة في الغذاء. وقد أصبح معروفاً أن بعض المواد المضافة مسؤولة عن إصابة الإنسان بالسرطان. (انظر في ذلك مجلة الجامعة الإسلامية القواعد الشرعية لسلامة إنتاج وحفظ الغذاء، د. عاطف محمد أبوهريريد).

القاعدة الرابعة: كل مباح إن استعمل بما يجلب الضرر فيحرم استعماله.

فكل طعام حلال ولكنه مُضرٌ بالنسبة لك أنت، فيكون حراماً عليك أنت، والمرجع في تحديد الضرر في هذا النوع إنما هم أهل الخبرة من أهل الطب، فيجب عليك أن تمتثل لتحذير الأطباء إن منعوك من شيء يُوجب عليك الضرر، والله أعلم.

وعن أم المنذر بنت قيس الأنصارية، قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه علي، وعلي ناقه، ولنا دوالي معلقة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منها، وقام علي ليأكل، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّي؛ "مه، إنك



نَاقَهُ". حَتَّى كَفَّ عَلَيَّ، قَالَتْ: وَصَنَعْتُ شَعِيرًا وَسَلَقًا، فَجِئْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عَلِيَّ، أَصَبَ مِنْ هَذَا فَهُوَ أَنْفَعُ لَكَ" سَنَّ أَبِي دَاوُدَ (٣٨٥٦) صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ (٥٩).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: وَاعْلَمْ أَنَّ فِي مَنَعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ مِنَ الْأَكْلِ مِنَ الدَّوَالِي، وَهُوَ نَاقَهُ أَحْسَنُ التَّدْبِيرِ، فَإِنَّ الدَّوَالِي أَقْنَاءُ مِنَ الرُّطْبِ تَعْلُقُ فِي الْبَيْتِ لِلْأَكْلِ بِمَنْزِلَةِ عِنَاقِيدِ الْعَنْبِ، وَالْفَاكِهَةِ تَضُرُّ بِالنَّاقَةِ مِنَ الْمَرَضِ لِسُرْعَةِ اسْتِحَالَتِهَا، وَضَعْفِ الطَّبِيعَةِ عَنْ دَفْعِهَا، فَإِنَّهَا لَمْ تَتِمَّكِنْ بَعْدَ مِنْ قُوَّتِهَا، وَهِيَ مَشْغُولَةٌ بِدَفْعِ آثَارِ الْعِلَّةِ، وَإِزَالَتِهَا مِنَ الْبَدَنِ. زَادَ الْمَعَادُ (٩٦/٤).

قَالَ ابْنُ عَثِيمٍ: الدَّلِيلُ عَلَى تَحْرِيمِ مَا فِيهِ مَضَرَّةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

فَمِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

«وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

التَّهْلُكَةِ، (البقرة: ١٩٥)،

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَا تَقْتُلُوا

أَنْفُسَكُمْ، (النساء: ٢٩)،

وَالنَّهْيُ عَنِ قَتْلِ النَّفْسِ نَهْيٌ

عَنْ أَسْبَابِهِ أَيْضًا، فَكُلُّ مَا

يُؤَدِّي إِلَى الضَّرَرِ فَهُوَ حَرَامٌ،

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»،

وَرَبِمَا يُسْتَدَلُّ لَهُ أَيْضًا بِقَوْلِهِ

تَعَالَى: «وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ

عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ

مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ

فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا

صَعِيدًا طَيِّبًا، (المائدة: ٦)،

وَوَجَّهَ ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

أَوْجَبَ التَّيَمَّمَ عَلَى الْمَرِيضِ

حِمَايَةً لَهُ عَنِ الضَّرَرِ، فَعَدَلَ

بِهِ عَنِ الْمَاءِ الَّذِي قَدْ يَتَضَرَّرُ

بِاسْتِعْمَالِهِ فِي الْبَرْدِ وَالْمَرَضِ

وَنَحْوَهُمَا، إِلَى التَّيَمَّمَ.

تَوْجَدَ أَنْوَاعٌ مِنَ السَّمُومِ

الْخَفِيفَةِ تَخْلُطُ مَعَ بَعْضِ

الْأَدْوِيَةِ فَتُسْتَعْمَلُ دَوَاءً،

فَهَذِهِ نَصُّ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهَا

جَائِزَةٌ، لَكِنْ بِشَرَطِ أَنْ نَعْلَمَ

انْتِفَاءَ الضَّرَرِ، فَإِذَا خَلَطَتْ

بَعْضُ الْأَدْوِيَةِ بِأَشْيَاءٍ سَامَةٍ،

لَكِنْ عَلَى وَجْهِ لَا ضَرَرَ فِيهِ

فَإِنَّهَا تَبَاحٌ؛ لِأَنَّ لَدَيْنَا قَاعِدَةً

فَقْهِيَّةً مُهِمَّةً، وَهِيَ: "أَنَّ

الْحُكْمَ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِهِ وَجُودًا

وَعَدَمًا"، فَإِذَا اسْتَعْمِلَ السَّمُّ،

أَوْ شَيْءٌ فِيهِ سَمٌّ عَلَى وَجْهِ

لَا ضَرَرَ فِيهِ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا،

لَكِنْ لَا يَكْثُرُ الْإِنْسَانُ مِنْ

هَذَا، أَوْ مَثَلًا يُوصَفُ لَهُ هَذَا

الدَّوَاءُ الَّذِي فِيهِ شَيْءٌ مِنْ

السَّمِّ بِقَدَرٍ مُعَيَّنٍ، ثُمَّ لِقْوَةُ

الْأَلَمِ فِيهِ يَقُولُ: أَنَا أَخَذْتُ بِدَلِّ

الْقُرْصِ عَشْرَةَ أَقْرَاصٍ، فَرُبِمَا

إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ يَتَضَرَّرُ وَيَهْلِكُ،

بَلْ لَا يَدَّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ

أَنْ تَكُونَ بِمَشُورَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ

بِذَلِكَ، وَهُمْ: الْأَطْبَاءُ. انْظُرْ:

الشرح الممتع (١٢/١٥).

القاعدة الخامسة: متى أمكن

التداوي بالغذاء لا يعدل

عنه إلى الدواء.

وهذه مسألة قد جرى

الخلافا فيها على الساحة،

ولو تجردنا من المصالح الخاصة والهوى فإن الدواء اليوم إن لم يكن في موضعه تحوّل إلى داء، وقد يكون الداء من بعض الطعام فلو تركنا بعضه ليس تحريمًا وإنما طلبًا للتعافي فإن ذلك مباح.

قال ابن القيم: فكان من هديه صلى الله عليه وسلم فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ولكن لم يكن من هديه ولا هدي أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى "أقرباذين"، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات، وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه أو يكسر سورته، وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العرب، والترك، وأهل البوادي قاطبة، وإنما غني بالمركبات الروم واليونانيون، وأكثر طب الهند بالمفردات.

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل عنه إلى المركب. قالوا: وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية. زاد المعاد (٩/٤)

فنسأل الله سبحانه أن يشفي أمراضنا، وأن يطهر قلوبنا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شريعة الإسلام

صالحة لكل زمان ومكان

الشيخ/مصطفى البصراي



مصالح العباد في المعاش والمعاد، كما دل على ذلك استقراء نصوص الأحكام وتعليقاتها في الكتاب والسنة. وأنه سبحانه خص هذه الشريعة بالعموم والاستمرار دون الشرائع السماوية السابقة. فقد اقتضت حكمته تعالى أن تكون شرائع الرسل الذين سبقوا نبينا محمداً -صلى الله عليهم جميعاً وسلم- في الزمن، شرائع محدودة موقوتة، فهي لأقوام معينين، في مرحلة زمنية خاصة، وكان هذا هو الموافق للحكمة والمصلحة، فلم تكن البشرية في طور يسمح لها بتقبل شريعة عامة خالدة.

ولهذا لم يتكفل الله تعالى بحفظ مصادرها المقدسة من الضياع والتحريف، ولم يضمن لها أن يبعث في كل جيل من يحفظ كتابها، ويصون ميراث نبيها، ويجدد لها أمر دينها. ومن هنا حُرِّفَت الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن، تحريفاً لفظياً ومعنوياً، ونسي أهلها حظاً مما ذكروا به، وهذا أمر أثبتته القرآن الكريم، ودل عليه الاستقراء بيقين، واختلطت كلمات الله بكلمات البشر.

فلما بلغت البشرية طورها الأخير، وعلم الله جل شأنه أنها أصبحت صالحة لأن تنزل عليها الرسالة العامة الأخيرة، بعث نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم- رحمة للعالمين، ورسوله إلى الناس جميعاً، كما قال تعالى يخاطبه: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (الأنبياء: ١٠٧)، وقال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَهُهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَوْمُنَ بِاللَّهِ

الحمد لله رب العالمين، الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» (البقرة: ١٢٩). وهذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» (الأنعام: ١٥٣). وجعل نهايته: رضوان الله والجنة: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (المائدة: ١٥-١٦)، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره: «أَفَقَبِيرٌ دِينُ اللَّهِ يَبْفِقُونَ وَلَهُ اسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» (آل عمران: ٨٣).

الشريعة الإسلامية صالحة في كل زمان ومكان:

لقد ظهر في زماننا من يطعنون في الشريعة الإسلامية ويزعمون أنها لا تناسب هذا الزمان ولا يصلح تطبيقها في هذه الأيام، وكذبوا-فهذه قضية خبرية، شهد بصدقها الوحي الإلهي وشهد بصدقها التاريخ، وشهد بصدقها الواقع، وشهد بصدقها كل من اطلع على كنوزها من علماء القانون من المسلمين ومن المنصفين من غير المسلمين.

شريعة عامة خالدة:

فأما شهادة الوحي، فنحن نعلم أن الله تعالى أنزل هذه الشريعة بعلمه على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ليقيم بها عدله في الأرض، ويحقق بها



حفظ القرآن يتضمن حفظ السنة:

وحفظ القرآن يتضمن حفظ السنة في الجملة. كما وضع ذلك الإمام الشاطبي في «الموافقات» فالسنة بيان للقرآن، كما قال تعالى: «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» (النحل: ٤٤).

وحفظ المبين يقتضي حفظ البيان، لأنه لازم له، ولهذا هيأ الله تعالى للسنة من يزود عنها، ويرد الأباطيل عن حماها، قيل لعبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟ فقال: نعين لها الجهابذة.

هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة:

ثانياً: ألا تجتمع هذه الأمة على ضلالة:

«فلا تزال طائفة منها قائمة على الحق، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، كما اقتضت حكمته تعالى أن يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وأن يقوم في كل عصر من يحمل علم الشريعة: ينفي عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

روى أبو مالك الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أجاركم من ثلاث خال: ألا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً، وألا يظهر أهل الباطل على أهل الحق (أي: بصفة عامة ودائمة)، وألا تجتمعوا على ضلالة» (رواه أبو داود في كتاب الضنن، رقم (٢٥٣)). هذا من جهة ما قدره الله لبقاء هذه الشريعة وخلودها.

خصائص الشريعة واستحقاقها الخلود:

أما من جهة ما شرعه الله لذلك، فقد ضمنها من الخصائص والمزايا ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، ولا يستطيع المؤمن بكمال علم الله تعالى وحكمته ورحمته ويزه بخلقه أن يتصور أنه تعالى يغلق باب النبوة دونهم، ويقطع وحيه عنهم، ثم يتعبد بهم بشريعة قاصرة تصلح لقوم ولا تصلح لغيرهم، وتصلح لزمان ولا تصلح لآخر، وتصلح لبلد ولا تصلح لغيره، مع أنهم جميعاً مكلفون بأحكامها ملزمون بأن يحلوا حلالها، ويحرموا حرامها، ويأثموا بأوامرها وينتهوا عن نواهيها. إن من خطر له ذلك، فقد جهل مقام ربه، وظن به ظن سوء، وما قدر الله تعالى حق قدره. والحمد لله رب العالمين.

وكلماته واتباعوه لعلكم تهتدون» (الأعراف: ١٥٨)، وقال تعالى: «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» (الفرقان: ١).

وقال صلى الله عليه وسلم مُعَدِّداً خصائص رسالته، وما من الله عليه من فضل: «أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي... وفيه:» وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة.. (متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله).

ومقتضى هذا العموم: أن تكون هذه الرسالة أو هذه الشريعة صالحة لكل قوم، وكل بيئة، وكل مكان كما اقتضت حكمته تعالى أن تكون هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع، فهي ناسخة لما قبلها، ولا تنسخ بشريعة بعدها؛ إذ ليس بعد كتابها كتاب، ولا بعد نبيها نبي؛ فقد كمل الدين بالإسلام، وتم البناء برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق الله العظيم إذ يقول: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم» (المائدة: ٣)، وقال تعالى: «ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً» (الأحزاب: ٤٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأكملاه إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فصار الناس يطوفون به ويتعجبون من حسنه ويقولون لولا هذه اللبنة، فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين» (متفق عليه من حديث جابر وأبي هريرة).

وعد الله تعالى بحفظ القرآن مصدر الشريعة الأول:

وحيث أراد الله لهذه الشريعة الخلود، فقد جرى قدر الله ومشيئته بضمان أمرين يكفلان لهذه الشريعة دوامها إلى قيام الساعة:

أولاً: تكفل الله عز وجل بنفسه، بحفظ دستورها ومصدرها الأول، وهو القرآن الكريم، فقال تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (الحجر: ٩)، فهذا وعد إلهي-مؤكد بأكثر من صيغة- يحفظ الذكر أي القرآن، ووعد الله لا يخلف.

في حين لم يتكفل بحفظ الكتب السماوية السابقة، وإنما استحفظ عليها أهلها فقط، نظراً لأنها كانت أساساً لشرائع مرحلية مؤقتة، ستسخنها شرائع أخرى آخرها الشريعة المحمدية.

العلماء ورثة الأنبياء

اعداد: الشيخ / عبده أحمد الأقرع

محمد صلى الله عليه وسلم: «وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» (النساء: ١١٣). فمن أورثه الله علم الكتاب والسنة فقد اصطفاه، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ». متفق عليه. إذن فالعلماء وارثو علم الرسالة، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وهم مثال الاستقامة، بالعلم عاملون، وعلى الحق سائرون، يهدون بالحق وبه يعدلون، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، بهم يهتدى ويُقتدى، وعلى خطاهم تعيش الأمم على هدى وبصيرة من أمرها بعيداً عن البدع والخرافات ودروب الجهل والضلال، استشهد الله بهم دون غيرهم من البشر على أجل مشهود به وأعظمه: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُو الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (آل عمران: ١٨). وأخبر سبحانه أنهم أهل خشيته: «إِنَّمَا يَخْشَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَافِعَ أَهْلِ الْعِلْمِ دَرَجَاتٍ، وَالْمُفَضَّلُ لَذَوِي الْعِلْمِ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، وَأَصْلِي وَأَسْلَمَ عَلَى سَيِّدِ الدُّعَاةِ وَإِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اسْتَنْ بَسْمَتِهِ وَاهْتَدَى بِهَدَاهِ. أما بعد: فالعلم مَنْةٌ يَمُنُّ اللَّهُ بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» (يوسف: ٢٢)، وقال تعالى عن كليمه موسى عليه السلام: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» (القصص: ١٤)، وقال تعالى عن داود وسليمان عليهما السلام: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» (الأنمل: ١٥)، فخص العلم بالذكر مع أنه أتاهما مالا ومُلُكا: «وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» (الأنبياء: ٧٩)، وذكر سبحانه أنهما قالَا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»؛ لاعتقادهما أنهما بالعلم فضلاً على كثير من عباد الله المؤمنين، وامتنَّ سبحانه على نبينا

الله من عباده العلماء» (فاطر: ٢٨). وأمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستشهد بهم على رسالته، «ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» (الرعد: ٤٣).

واستشهد بهم سبحانه على صحة ما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم: «أفغير الله أتبعي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين» (الأنعام: ١٨٤). وجعل سبحانه كتابه آيات بينات في صدورهم، قال تعالى: «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا زتاب المبطلون ٤٨ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون» (العنكبوت: ٤٨-٤٩).

ونفى سبحانه التسوية بين العالمين والجاهلين، فقال تعالى: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» (الزمر: ٩). وأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفي بشهادة أهل العلم ولا يعبأ بالجاهلين، فقال تعالى: «وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ١٠٦ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ١٠٧ ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا» (الإسراء: ١٠٦-١٠٨).

وأخبر سبحانه عن رفعة درجات أهل العلم، فقال تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» (المجادلة: ١١). وعن ابن مسعود قال: "ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية. فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم". الدر المنثور (٨/٨٣).

ودعا الله الناس إلى سؤالهم فيما يجد من مسائل وقضايا؛ فأجابتهم تزيل الشبهات، قال الله تعالى: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» (النحل: ٤٣). وأخبر سبحانه أنهم المنتفعون بضرب الأمثال. قال تعالى: «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» (العنكبوت: ٤٣).

ولذا كان بعض السلف إذا مر بمثل لا يفهمه

يبكي ويقول: لست من العالمين. وأخير سبحانه أن العلماء سيشهدون للأنبياء على أمهم يوم القيامة، فقال تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» (البقرة: ١٤٣). والخطاب وإن كان للامة إلا أنه من العام المخصوص؛ لأن الجاهل شهادته مردودة، ولذلك قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: (باب: «كذلك جعلناكم أمة وسطا») وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم. وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل العلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «وان العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر». رواه البخاري (١٧٤/١)، (١٧٥). ومسلم (٢٦٧٣).

وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم باغتنام حياة العلماء، وأخذ العلم عنهم قبل أن يموتوا، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». رواه البخاري (١٧٤/١)، (١٧٥). ومسلم (٢٦٧٣).

وقد قيل لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم.

ومع هذا البناء من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على أولي العلم؛ فإنهم لم يسلموا من أقوام يحطون من أقدارهم ويجترئون على مقامهم، وينزعون من مهابتهم، يطعنون في أعمالهم وجهودهم، ويشككون في قدراتهم وكفاءاتهم، ويبلبلون على العامة، يوزعون الاتهامات، ويتبعون المعاييب، والأشد من ذلك والأنكى اتهام النيات، والحكم على المقاصد، والتناول على السرائر التي لا يعلمها إلا الله. ولا شك أن هذا ضرر على الدين؛ فالطعن في العلماء ليس طعنا في شخصهم وإنما طعن في العلم الذي يحملونه، وبالتالي طعن في الإسلام.



فاحذروا -إخواني- كل الحذر من التطاول على علماء الأمة، فالتجريح بغير حق لا يجوز، ورفض الدليل مُحَرَّم لا يسوغ، والمنهج الحق الأخذ بالدليل مع وافر الحرمة والتقدير لأئمة العلم والدين، ومن كانت له نادرة ينبغي أن تدفن في بحر علمه، وتُنسى في جانب عظيم فضله، فالعصمة غير مضمونة لأي عالم. ولكن المضمون لهم -إن شاء الله- الأجر على اجتهداهم، أصابوا أو أخطأوا.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: لو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهداه في أحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه، وبدّعناه وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، ونعوذ بالله من الهوى والفضاظة. اهـ. (السير)

احذروا التطاول على مناهج الأئمة. وعلماء الأمة. أو التهوين من فقه السلف، ومن ظفر بخطأ عالم فلا يفرح، ولا يتبع العثرات، ولكن ليصحح الخطأ، وليتنبه إلى الصواب، يُحيط ذلك سياج من الخلق الفاضل، في لسان عفيف، ونظر متورع. وقبل ذلك وبعده هو بحاجة إلى إخلاص القصد لله وحده، والتجرد للحق، وليحذر التشهير والتشنيع، وألا يظن بهم إلا خيراً.

قال الله تعالى: **«لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا»** (النور: ١٢)، وبخاصة أولئك الأعلام الذين يُعلمون الناس الخير، يجب على الأمة أن تحفظ حقوقهم، وتعرف مكانتهم، وتقديرهم حق قدرهم، وتلتزم الأدب معهم. إنهم العلماء وارثو علم الرسالة، خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم في أمته، المُخَيَّون لما مات من سنته، فمعلم الناس الخير يُصلي عليه الله وملائكته ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف البحر، والنملة في جحرها، فعليكم إخواني بتبجيل العلماء أهل الفضل والإيمان.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل». (الطحاوية، ص ٥٨، بتعليق شيخنا الألباني رحمه الله).

وقال الحافظ ابن عساكر: «اعلم -وَقَفْنَا اللَّهُ وَايَاكَ لِمَرْضَاتِهِ، وَجَعَلْنَا مِمَّنْ يَخْشَاهُ وَيَتَّقِيهِ حَق تَقَاتِهِ-، أَنْ لِحُومَ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ، وَعَادَةُ اللَّهِ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْ مُنْتَقَصِهِمْ مَعْلُومَةٌ، وَمَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي الْعُلَمَاءِ بِالثَّبِّ ابْتِلَاهُ اللَّهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ». (مقدمة المجموع شرح المذهب، ١/٢٤).

ومن قبل قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من أذى فقيهاً فقد أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أذى الله عز وجل».

ألا هليق الله من أشغل نفسه بتجريح العلماء وطلبة العلم والتحذير منهم، فينشغل بالبحث عن عيوبه للتخلص منها بدلاً من الاشتغال بعيوب الآخرين، ويحافظ على حسناته فلا يضيق بها ذرعاً، فيوزعها على من ابتلي بتجريحهم والنيل منهم، وهو أحوج من غيره إلى تلك الحسنات في **«يَوْمَ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨**

إِنَّمَا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الشعراء: ٨٨-٨٩).

وأن يشغل نفسه بدلاً من التجريح والتحذير بتحصيل العلم النافع، والجد والاجتهاد فيه ليستفيد ويفيد، وينتفع وينفع، فمن الخير للإنسان أن يشتغل بالعلم تعلماً وتعلماً، ودعوة وتأييلاً، إذا تمكّن من ذلك ليكون من أهل البناء. وألا يشغل نفسه بتجريح العلماء وطلبة العلم من أهل السنة، وقطع الطريق الموصلة إلى الاستفادة منهم، لئلا يكون من أهل الهدم. ومثل هذا المشتغل بالتجريح لا يُخلف بعده إذا مات علماً يُنتفع به، ولا يفقد الناس بموته عالماً ينفعهم، بل بموته يسلمون من شره.

فيا إخواني!! العلماء العلماء؛ أنزلوهم منازلهم وأجلوهم واحترمواهم، قال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه». صحيح الجامع (٥٤٤٣).

ومن وصايا لقمان: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يُحيي القلوب بنور الحكمة، كما يُحيي الأرض بوابل المطر».

وأسأل الله عز وجل أن يوفق الجميع لما يرضيه وللفقه في الدين والثبات على الحق، والاشتغال بما يُغني عما لا يُغني، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

صدر حديثاً

المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد



يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد ٢٥ جنيه

بدلاً من ٥٠ جنيه

حتى عام ١٤٣٩ هـ



١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

١٥٠٠ جنيه

لفترة محدودة

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشتر

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٣٢



Upload by : altawhedmag.com

علم نافع لا يستغنى
عنها البيت المسلم

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان
عن عودة خدمة الاشتراكات
الخاصة بالأفراد والمؤسسات
على أن يكون سعر الاشتراك
السنوي للفرد (عدد نسخة
واحدة من المجلة على عنوان
المشارك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

٩ للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢٢

